كتيب

بأي قلب نلقاه

محاولة مع القلب لشفائه من أمراضه وعلله

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

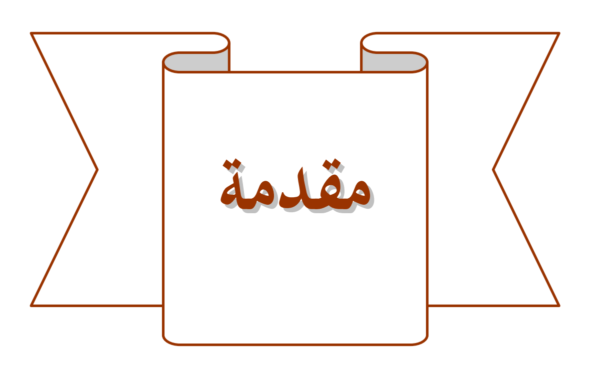




إعداد وتقديم

فريق الأخوات بشبكة الطريق إلى الله

الفهرس



الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيِّ الفريقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدلِه، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلهٌ عزَّ مَن اعتز به فلا يضام، وذلَّ مَن تكبر عن أمره ولقي الآثام.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفيائه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، الذي جُمع فيه الأنبياء تحت لوائه.

إن أشرف ما في الإنسان قلبه، فإنه العالم بالله، وإنما الجوارح أتباع وخدم له، والمفتاح الذي يفتح القلوب للاستجابة الفورية هو معرفة الله حق المعرفة حتى نعبده حق العبادة .
فمن عرف قلبه عرف ربه، فمعرفة القلب أصل الدين وأساس طريق السالكين، اللهم نور قلوبنا بمعرفتك.

" فهلا تعرفنا على القلب وأهميته.

١. القلب وأهميته

القلب له منزلة وقدر، وجلال ومكانة عظيمة في الدين، فسبحان من خلق فسوى! فمنذ العصور الأولى لوجود الإنسان على الأرض ارتبطت حياته بعضو صغير لا يَزيد حجمه عن قبضة اليد، ألا وهو "القلب"، الذي كانت دقّاته ترمز دائمًا إلى نبض الحياة، وإذا توقفت ضربات القلب توقفت معها الحياة.

فما أحوجنا إلى أن نداوي هذا القلب فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم، ومحل نظر الله –عز وجل– هو هذا القلب، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ"[رواه مسلم(٢٥٦٤)].

فقلوبنا إذا صلحت، صلحت أعمالنا، وصلحت أحوالنا، وارتفعت كثير من مشكلاتنا، وإذا فسدت هذه القلوب فسدت أعمالنا، واضطربت أحوالنا، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" [رواه البخاري(٥٢) ومسلم(١٥٩٩)].

ولكن ما هو القلب ذات المكانة الخطيرة في جسد الإنسان ،والخطيرة في الإسلام

فالقلب هو العضو المسؤول عن التأثر والاستجابة الشعورية في جسم الإنسان؛ وربما قيل له قلب لكثرة تقلبه، فهو كثير التقلب بالخواطر والواردات والأفكار والعقائد، يتقلب من هدى إلى ضلالة، ومن إيمان إلى كفر أو نفاق؛ ولهذا كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يكثر أن يقول: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" [رواه الترمذي وصححه الألباني].

وما أهميته

فالقلب نُسِبَ له في القرآن الكريم أشرفُ الأعمال، وخُصَّ بأمور لم تكن لغيره من الأعضاء، فالحق تبارك وتعالى خَصَّه بوظيفة التعقُّل والتفقُّه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٦]، ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وأنزل القرآن على القلب: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾[الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]

ونُسِبَ إليه الإيمان والهداية: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١]
واللهُ ألزَمَ عبادَه بقيام الحجة عليهم؛ إذا توفَّرت القُدرة على الإدراك، وعلى الفعل، فحاسب عباده بما منحَهم مِن وسائل الإدراك وهي: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فامتنَّ على عباده في غير ما آية بأنْ مَنَحَهُمُ القُدرة على الإدراك، والاستعداد لقبول العلوم؛ وفهمها وتخزينها بداخلهم، واستذكارها متى احتاجوا إليها. كما نُبِّهوا إلى أن الصدود عن الغاية التي خُلِقَت لأجلها وسائل الإدراك يُعَرِّضها للعقاب؛ بأن لا يتجاوز دورُها ما تؤدِّيه في غيرها مِن البهائم.[1]
القلب أمير الجسد وملك الأعضاء، فهو راعيها الوحيد وقائدها، وإنما الجوارح والحواس تبع له وآلات تصدع بما تؤمر، فلا تصدر أفعالها إلا عن أمره، ولا يستعملها في غير ما يريد، فهي تحت سيطرته وقهره، ومنه تكتسب الاستقامة أو الزيغ، وبين القلب والأعضاء صلة عجيبة وتوافق غريب بحيث تسري مخالفة كل منهما فوراً إلى الآخر، فإذا زاغ البصر فلأنه مأمور، وإذا كذب اللسان فما هو غير عبد مقهور، وإذا سعت القدم إلى الحرام فسعي القلب أسبق، وقال لمن يؤم من المصلين: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم» (صحيح مسلم [٤٣٢]).

فأعمال الجوارح ثمرة لأعمال القلب، والخلاصة: القلب هو خط الدفاع الأول والأخير، فإذا ضعف القلب أو فسد أو استسلم انهارت الجوارح!! وفي المقابل إذا ذكر العبد ربه فلأن القلب ذكَر، وإذا أطلق يده بالصدقة فلأن القلب أذِن، وإذا بكت العين فلأن القلب أمر، فالقلب مملي الكلام على اللسان إذا نطق، وعلى اليد إذا كتبت، وعلى الأقدام إذا مشت، وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم للقلب حقه ومكانته حتى وصفه بأنه: «مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله» (صحيح البخاري [٥٢])، وتوجه أول ما توجَّه إليه ليربّيه ويهتم به ويزكِّيه. فكل الأفعال مردها إلى القلب وانبعاثها من القلب، وكل الأفعال تعني كل الأفعال ولو كانت لبس ثيابك وزينة بدنك!! وهذا ما أدركه مستودع القرآن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال: "لا يشبه الزي الزي حتى تشبه القلوب القلوب".[2]

[1] - شبكة الألوكة
[2] - اسلام ويب

٢. أنواع القلوب

(١) القلبُ السليم:

هو القلب الذي سلِم صاحبه مِن الوقوع في الشبهات والشهوات، واستقام على أمْر الله، واقتدى بسُنة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – واقتدَى أيضًا بالسَّلَف الصالح فنَتج عن ذلك سلامة قلْبه في الدُّنيا مِن أمراض القلْب التي تعتريه، وأمَّا يوم القيامة اليوم الذي لا يَنفع فيه مال ولا بنون، فإنَّه سيأتي ربَّه بهذا القلْب السليم، فيتمنَّى كل واحد في ذلك اليوم أن يكون صاحب ذلك القلْب كما قال – تعالى –: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨–٨٩]

قال ابن القيم – رحمه الله –: "هو الذي سلِم من الشرك والغل، والحقد والحسد، والشح والكبر، وحب الدنيا والرياسة، وسلم من كل شهوة تعارض أمْرَه، ومن كل شبهة تعارض خبرَه، وسلم من كل إرادة تزاحم مرادَه، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله"

لكلّ شيءٍ ما يميّزه، والقلب السليم له علاماتٌ تميّزه عن غيره من القلوب، ومن علامات القلب السليم:

– أنّه قلبٌ تائبٌ عائدٌ إلى الله تعالى.

– أن يكون القلب خالياً ومُحافظاً عليه من الأخلاق الذّميمة، وذلك بألّا يكون حاملاً في داخله البغض للآخرين.

– أن يكون القلب دائم الرضا والقناعة لتقادير الله تعالى في أمور الإنسان. أن يعرف القلب حاله في الدنيا، فيعلم أنّ الدنيا محطّةٌ وتنتهي، وأنّ قلبه معلّقٌ بالآخرة.

– أنّ القلب لا يكون سعيداً إلّا بالقرب من الله تعالى، وحبّه، والتوكّل عليه، والاطمئنان بقُربه.

– أنّ القلب السليم دائم ذكر الله تعالى، والاطمئنان بذكره. أنّ القلب السليم يكون في حالة كدرٍ وتعبٍ وضيقٍ؛ إذا انقضى يومٌ من أيّامه دون قراءة ورده اليومي.

– أن يكون القلب السليم هدفه إرضاء الله تعالى، وأن تكون كلّ حياته لله تعالى.

– أنّ المسلم إذا بدأ في أداء الصلوات اليوميّة، اطمأنّ قلبه وشعر بالفرح والسعادة، وحصلت له الراحة والسكينة. أنّ القلب السليم يتألّم إذا ارتكب ذنوباً ومعاصي، حتى ولو كانت صغيرةً.

– أن يكون همّ القلب السليم إتقان العمل، والإحسان في أدائه.

– أنّ القلب السليم هو الذي يؤمن بوجود يوم القيامة، وأنّه حقٌّ وهو آتٍ لا محالةٍ.

– القلب السليم هو القلب الذي لا يؤذي مَن حوله من الناس.

فالقلب السليم هو قلب مطمئن منيب وجل، لين، رؤوف رحيم، خاشع، عليه سكينة، قوي ومخبت.

(٢) القلب الميت:

الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربَّه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه؛ بل هو واقف مع شهواته ولذَّاته، ولو كان فيها سخط ربِّه وغضبه، فعبادته لغير الله حبًّا وخوفًا ورجاءً وسخطًا، إنْ أحبَّ أحبَّ لهواه، وإنْ أبْغض أبغض لهواه، وإنْ أعطى أعْطى لهواه، فهو آثرُ عندَه وأحبُّ إليه مِن رضا مولاه، لا يستجيب لناصح، بل يتَّبع كل شيطان مريد، الدُّنيا تُسخطه وتُرضيه والهوَى يصمُّه عمَّا سِوى الباطِل ويُعميه.

وهذا هو قلب الكافر، قال – تعالى –: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

قال أحدُ الصالحين: "يا عجبًا مِن المسلم يبْكون على موتِ جسدِه، ولا يبكون على مَن مات قلْبه وهو أشدُّ، فمُخالطة صاحِب هذا القلب سُقم، ومعاشرته سمٌّ، ومجالسته هلاك" ، نعم، إنه قلب انتهزته الشهوات فقبع في الدنيا، واعتقد أن ملذاتها نهاية المنى، وأن زينتها مبلغ السنى، فأرخت عليه سدولها بمصائدها ومقالبها، وسقط في شباكها تناوشه أمراضها من غفلة، وكسل، وفتور، وربا، وحسد.. فلم يعد للموعظة في هذا القلب مجال، ولا للنصيحة مكان. قال تعالى :﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٦]، علق في" التحرير "فقال: "تعريضا بأن هؤلاء كالأموات لا ترجى منهم استجابة". ومثله قوله تعالى :﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢] الكفار، وقوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ [النمل: ٨٠]

إنَّ صاحب القلب الميت ميتٌ بين الأحياء ولو مشى معهم، فقلبه خَربٌ كالبيت المهجور الذي لا تسكنه إلا الهوامّ والحيات، فكذلك القلب الميت لا تسكنه إلا الأوهام والغفلة والشهوات، فحرِيٌّ بالمؤمن أن يحرص على حياة قلبه؛ لئلا يموت فيشقى أبدًا، وحريٌّ به كذلك معرفة صفات القلب الميت وعلاماته.

ومن صفاته وعلاماته

ومن علامات موت القلب:

– الإعراض عن كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسولِه –صلى الله عليه وسلم– فالقلب الميت مظلمٌ بعيدٌ عن الحقِّ لا يَصِلُ إليه شيءٌ من نور الإيمان، وحقائق الفرقان، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف:٥٧.]

– ومن العلامات الدالة على موت القلب كذلك: عدم التأثر بالعِظَات والآيات، والتثاقل عن فعل المأمورات، قال أحد الصالحين" :الرَّجل: هو الذي يخافُ مِن مَوْتِ قَلْبِهِ لا مِن مَوتِ جَسَدِه."

جِيءَ للحسن البصري بكوب من ماء ليُفْطِرَ عليه، فلما قرَّبه مِنْ فيه بكى وقال: "ذكرتُ أُمنية أهل النار وقولهَم لأهل الجنان ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾[الأعراف:٥٠]، وذكرتُ ما أجيبوا ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف٥٠].

يقول ابن القيم –رحمه الله" اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجده في تلك المواطن، فاسأل الله أن يمن عليك بقلب، فإنه لا قلبَ لكَ."

– ومن علامات موت القلب–إخوة الإيمان– إيثارُ الدُّنْيَا على الآخِرَةِ: جاء في الحديث" :بَادِرُوا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا)" (رواه مسلم). لمَّا مات قلبه آثر الدنيا على الآخرة، فأصبح لا يبالي بدينه، فربما قال أو فَعَلَ كُفْرًا من أجل دراهم معدودة.

– ومن علامات موت القلب: حُبّ الشهوات، قال –عز وجل) :–وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]، فصاحب القلب الميت مُولَع بتتبع الشهوات؛ فهي من أسمى غاياته في هذه الحياة.

إنَّ عدم إنكار المنكر والسكوت عنه، لَمِنْ علامات موت القلب: فإن القلب إن كان لا يعرف معروفًا، ولا ينكِر منكرًا، نُكِّسَ، فكان أعلاهُ أسفَلَهُ، كما جاء في الحديث" :تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاه)" (رواه مسلم).

– ومن علامات موت القلب كذلك: ضِيقُ الصدر، والشُّعورُ بالقَلق والغم، قال – تعالى– ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنعام: ١٢٥]

إن عدم التألُّم لآلام وآهات المستضعفين، وعدم نجدة الملهوفين، وعدم الوقوف مع المظلومين المقهورين، دليلٌ على موت قلب صاحبه وبُعْده عن خالقه ومولاه، فترى ذلك الشخصَ لا يرى إلا مصلحة نفسه، ولا يأنس إلا بتأمين حاجاته ورغباته، والله المستعان.

فصاحب القلب الميت أنه مطبوع عليه، قاسٍ، مقفل، مكنون، عليه ران، مغلف، مرعوب مشمئز، لا يعقل ولا يفقه.

(٣) القلب المريض:

قلب له حياة وبه علة، فله مادتان تمدُّه: هذه مرة، وتمده هذه مرة أخرى، وهو لما غلبه عليه. ففيه مِن محبَّة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكُّل عليه ما هو مادَّة حياته، وفيه مِن محبة الشهوات والحِرص على تحصيلها والحسد والكِبر والعُجب، وحبّ العُلو والفساد في الأرض بالرِّياسة والنِّفاق والرياء، والشح والبخل، ما هو مادَّة هلاكه وعطَبه.

وهو قلب المنافق وصاحب الهوى

قال – تعالى – ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ – ٥٤]

قد يمرض قلب العبد، ويشتد به المرض، ولا يعرف صاحبُه بمرضه، إلا أن لتلك القلب صفات و علامات وأعراض ينبغي معرفتها، ليتفادى المؤمنُ أعراضَها ويعمل بأسباب الخلاص منها

وإنَّ من علامات القلب المريض ما يلي:

– أن يتعذر على العبد محبة الله عز وجل وإيثاره ومحبة الدار الآخرة، وحينئذٍ يكون تلبية شهوته عنده أولى المطالب، فهو قلب لا يعرف الهدف الذي من أجله خُلِقَ، فهو يعيش ليأكل ويأكل ليعيش، كالبهيمة التي ليس لها هدف وليس لها غاية، قال الله –عز وجل) –﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]

– ومن علامات أمراض القلب: أنه لا تؤلمه جراحات وآلام المعاصي، ولا يُوجِعُه جهلُه بالحق، فإنَّ القلب إذا كان حيًّا تألَّم بورود القبائح عليه، وتألَّم بجهله بالحق، أما إذا كان مريضًا فإنه يُؤْثِرُ بقاءَ الألم على مشقة الدواء، فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعب شيء على النفس، وليس لها أنفع منه.

ومن علامات أمراض القلب أيضًا: انصرافها عن الأغذية النافعة إلى الضارة، وعدولها عن الدواء النافع إلى دائها الضار، فالقلب الصحيح يُؤْثِرُ النافعَ الشافيَ على الضار المؤذي، والقلب المريض ضد ذلك، وأنفع الأغذية: غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية: دواء القرآن.

- كما أنَّ من علامات أمراض القلب: أن العبد يستوطن الدنيا ويرضى بها، وتصير الدنيا أكبرَ همِّه ومبلغَ علمه، فلا يسعى للآخرة ولا يحس في الدنيا بغربة، ولا يتطلع إلى الدرجات العالية من الجنة، كأنه خُلِقَ في هذه الدار للقرار.

- ومن علامات أمراض القلب وعلتها: الرياء وضعف الإخلاص: فلضَعْف إيمانه بالله تعالى يضعف عنده الإخلاصُ ومراقبةُ اللهِ، ويكون النظر إلى الخَلْق ومدحهم له غاية ما يسعى إليه.

كما أن اتباع الهوى من العلامات الواضحة لأمراض القلوب، فالْمُتَّبِع لهواه لا يجاهد نفسه، فيصبح مريضُ القلبِ عبدًا لهواه، قال -تعالى﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣]

- ومن علامات أمراض القلوب أيضًا: قسوة القلب؛ فتجد صاحب القلب المريض لا يتأثر بالمواعظ ولا بالآيات، وسببُ تلك القسوة البعدُ عن الله -تبارك وتعالى- وشرعه، قال مالك بن دينار" :ما ضُرِبَ عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم الا نزع الرحمة من قلوبهم."

ومن علامات أمراض القلوب كذلك: طول الأمل، فصاحبُ هذا القلبِ تعلّق بالدنيا وأمل فيها الأماني، وغفل عن حقيقة هذه الدنيا.

إخوةَ الإيمانِ: إن الحسد والغِلّ والكِبْر علامات أخرى على مرض القلب واعتلاله، فصاحبُه شديدُ الخُلق، ضيِّق النَّفْس، في قلقل وهَمّ دائمين، ولذلك كان حُبّ الخير للخَلْق، وسلامة الصدر تجاههم من أسباب دخول الجنة.

- ومن علامات أمراض القلوب: بُغْض عباد الله الصالحين، فحبُّ المؤمنين علامة الإيمان وطهارة القلب، وبغضهم علامة على ضَعْف الإيمان ومرض في القلب.

- ومن علامات أمراض القلوب: الخوف من غير الله؛ ولذلك يقول الإمام أحمد: لو صحَّحْتَ قلبَكَ لم تخَفْ أحدًا، وهذا العز بن عبد السلام، تقدَّم أمامَ أحدِ الملوكِ الطغاة، وتكلَّم عليه بكلامٍ شديد، فلما مضى قال له الناس: أَمَا خِفْتَ يا إمام، فقال" :تصورتُ عظمةَ اللهِ، فأصبح عندي كالهرِّ."

ومن صفاته:

أنه قلب لاه، غافل، زائغ، أعمى، غليظ عليه حسرة، مخالف للقول مرتاب، فيه نفاق، مصروف عن الحق.



– ما هو مرض القلب

إن الله –تعالى– يبتلي الخلقَ ويختبرهم، يبتليهم بالأمراض والأسقام والأدواء، وتلك الأمراض على اختلافها وتنوُّع أسبابها إلا أن بعضَها ينتهي أثرُها بمداواتها وعلاجها وبترِ أسبابها، وإنْ لم تشفَ فإنها تنتهي بانتهاء الحياة، والبعض الآخَر لا ينتهي أثرُها بانتهاء الحياة، بل تدخل آثارُ تلك الأمراض مع صاحبها القبرَ، وتُثقل كاهلَه إن لم يتداركها ويعمل بأسباب الخلاص منها، بل ستبقى معه في المحشر، وتبقَى معه عند الوقوف بين يدي الله تعالى، هل عرفتُم تلك الأمراضَ وخطرَها على العباد؟ **إنها هي أمراض القلوب!!!**

فللقلوب أمراض تصيبها لكنه ليس أي مرض فهلا تعرفن على مرض القلب

(المرض) الميم والراء والضاد أصلٌ صحيح يدلُّ على ما يخرُج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان منه العلة.

وعرِّف أيضًا: بأنه صفةٌ توجب وقوعَ الضرر في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة.

: حقيقة مرض القلب :

مرض القلب هو نوع فساد يحصل له ، يفسد به تصوره للحق، وإرادته له ، فلا يرى الحق حقاً ، أو يراه على خلاف ما هو عليه ،وبالتالي يبغض ما هو حق أو يحق الباطل

وهو نوعان:

الأول: مرض جسماني: وهو تغيير في النسيج، أو عضو أو مجموع، يوجب تشوشًا في عمله، أو يمنع إتمام وظيفة من الوظائف الجسدية.

ومنه قول الله عز وجل: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤]،

وكذلك قول الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١، والفتح: ١٧].

والثاني: مرض نفساني: وهو عبارة عن الظلم والجهل، والجبن والبخل والنفاق، وغيرها من الرذائل الخُلقية والسجايا الخبيثة.[1]

كما ذكر أهل التفسير أن المرض قد استُعمل في القرآن على ثلاثة أوجه:[2]

أحدها: مرض البدن، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

الثاني: الشك، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥].

الثالث: الفجور، ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾

وقد ذكر اللّه مرض القلوب وشفاءها في مواضع من كتابه وجاء ذلك في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى عن المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ [البقرة: ١٠]، وقال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم﴾ [المائدة: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤– ١٥]، وقال: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦٠]، وقال: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [الأحزاب: ١٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هلا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العِيِّ السؤال"،
وقال الرشيد: الآن شفيتني يا مالك، وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود: أن أحداً لا يزال بخير ما اتقى اللّه، وإذا شك في تفسير شيء سأل رجلاً فشفاه، وأوشك ألا يجده والذي لا إله إلا هو.[3]

ومما يبتلى الإنسان بمرض قلبه وعلة تصيبه

فمن أمراض القلوب

[1] شبكة الألوكة
[2] اسلام ويب
[3] موقع الخطباء



٤. مرض النفاق

قال الحسن البصري عن النفاق : "مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ".

مرض النفاق من امراض القلوب الخطيرة إذا استولى على القلب أماته، وصار صاحبه حيًّا كميت، وصحيح البدن مريض الرُّوح.[١]

قال الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة ١٠]

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتخوَّفون من الوقوع في النفاق؛ قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: ((أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ؛ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ)). (رواه الْبُخَارِيُّ)
الله المستعان، فما بالنا نحن

تعريف النفاق لُغة

جاء في "النهاية"؛ لابن الأثير، مادة (نفق):
أصلُه في اللُّغة مَعْروفًا، يقال: نافقَ يُنَافق مُنافقَةً ونِفاقًا، وهو مأخوذ مِنَ النَّافِقاء: أحَد جِحَرة اليَرْبوع إذا طُلِب مِن واحِدٍ هرَب إلى الآخَر وخرَج منه، وقيل: هو من النَّفَق: وهو السَّرَب الذي يُسْتَتَر فيهِ لِسَتْرِه كُفْرَه".

وأمَّا اصطلاحًا

فهو إظهارُ الخير وإبطان الشرّ، وهو كما قال ابن القيِّم في كتابه مدارج السالكين : "وأما النِّفاق: فالداء العُضال الباطِن الذي يكون الرجل ممتلئًا منه وهو لا يشعر، فإنه أمرٌ خفي على الناس، وكثيرًا ما يخفَى على مَن تلبَّس به، فيزعم أنَّه مصلِح وهو مفسِد.

[1] خطبة الشيخ عادل الشوربجي (أمراض القلوب)

أنواع النفاق

وقد قسَّمه جمهور العلماء ومحقِّقوهم الى قِسمين: نفاق أكبر، ونفاق أصغر، أو نفاق اعتقادي، ونفاق عملي.

١/ النفاق الاعتقادي (الأكبر): فهو المُخرج من المِلَّة باتِّفاق أهل العلم،

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧]؛ أي: الخارجون عن الشرع.
وهو النفاق الذي يُظهر صاحبه الإسلام، ويُبطن الكفر، ويُوجب لصاحبه حبوط عمله والخلود في النار، بل في الدَّرك الأسفل من النار، ولهذا النوع من المنافقين صفات خاصة بهم، بيَّنها الله جلَّ وعلا في كتابه، ونبيُّه –صلى الله عليه وسلم– في سُنَّته، وقد جعَل الله – جلَّ وعلا – هذه الصفات دليلاً على نِفاق المرء، فمَن اتَّصف بها كان منافقًا خالصًا، لا تَنفعه شفاعةُ الشافعين، وفي نار جهنَّمَ من المخلَّدين،العياذ بالله.

صفات المنافقين والتي منها:

– تركُ الاهتداء بالوحي: المنافقون جميعًا أنكروا الوحي ورفضوه، وأنت كمسلم تعلم حُكمَ الله في الربا، وحُكم الله في العلاقة مع النساء، وحُكم الله في الغيبة، وحُكم الله في الزواج، فإذا رفضتَ حُكمًا من هذه الأحكام – ولو كان الرفض داخليًّا – فأنتَ شئتَ أم أبيت وقعتَ في خندق المنافقين الذين اتخذوا هذا القرآن مهجورًا، وجعلوه كتابًا لا يَصلُح لهذا الزمن، وكتابًا نتبرَّك به فحسبُ، ولا نتَّخذه دستورًا لنا، ولا قانونًا، كتابًا نتلوه على الأموات.

والدليل قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾[النساء:٦٠، ٦١]

فالمنافق لا يقبل حُكمَ الله عز وجل؛ لأنَّ شهواته تغلبُه.
– والمنافق يكره حُكمَ الله؛ قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٩].
– يدور مع مصالحه:المنافق إذا اتَّفقت قضيته مع الشرع، صار مع الشرع، وإذا اتَّفقت مع القانون، صار مع القانون؛ قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

- الإفساد في الأرض:قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

- الاستهزاء بالمؤمنين والطعن فيهم وتجريحهم

فالمنافق دائمًا يسخر من المؤمنين، ويَصِفهم بكل نقيصة، ويَعيب أعمالهم، ولا يرى لهم حسنة أبدًا، وإن رأى فعلاً صالحًا شكَّك فيه وفي نية المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة: ١٤].

- الحَلِف كذبًا سترًا لجرائمهم:قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٢].

- الفَرَح والشماتة في مصائب المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٠].

- الأمرُ بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[التوبة: ٦٧].

فَهُمْ يأمرون بالإباحية، ويَنهَوْن عن الحِجاب، ويأمرون بالفُجور، وينهون عن التقوى، يأمرون بالرِّبا، وينهون عمَّا أحلَّ الله مِن البيوع، يأمرون بالخُمور، وينهون عمَّا أحلَّ الله مِن الطيبات، فعليهم لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين.

- التغرير بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ [الحشر: ١١، ١٢].

– النوع الثاني: النفاق العملي (النفاق الأصغر)

وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من المِلة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثُر صارَ بسببه منافقًا خالصًا، والنِّفاق الأصغر خطَرُه جسيم؛ لأنَّه وسيلةٌ للأكبر، حتى إذا استمرأَه الإنسان استدرجَه إلى الأكبر.

– ومن أهم صفات هؤلاء:

– خيانة الأمانة، والكذب والغدر، والفُجور عند المخاصمة:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خَصْلة منهنَّ، كانت فيه خَصْلة من النفاق حتى يَدَعَها – إذا اؤتُمِن خان، وإذا حدَّث كذَب، وإذا عاهَد غدَر، وإذا خاصَم فَجَر))؛ أخرجه البخاري ومسلم.

– التخلُّف عن الصلاة، وخصوصًا صلاة الفجر والعشاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((ليس صلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما، لأَتَوْهما ولو حَبوًا))؛ أخرجه البخاري.

– التكاسل في أداء الصلاة والرياء في الأعمال:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

– التلوّن بأكثر من لون:

ظاهره يختلف عن باطنه، ربما يعطي الله تعالى له هيئة وطولاً، فخامة ولونًا، عيونًا واسعة، جبهة عريضة مثلاً، وأن يكون طليق اللسان، أنيقًا جدًّا، فما قيمةُ هذا؟!

قال تعالى: ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْتَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

– ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٨، ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((تَجِدون الناسَ معادنَ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقِهوا، وتجدون خيرَ الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهيةً، وتجدون شرَّ الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه)).رواه البخاري ومسلم

ومن شواهده قول الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

- نَقْر الصلاة وإخراجها عن وقتها:

من حديث العلاء بن عبدالرحمن أنه دخَل على أنس بن مالك في دار بالبصرة، حين انصرَف من الظهر، وداره بجَنْب المسجد، فلمَّا دخلنا عليه، قال: أصليتُم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فصلُّوا العصر، فقُمنا فصلَّيْنا، فلمَّا انصرفنا، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((تلك صلاة المنافق، يجلس يرقُب الشمس حتى إذا كانت بين قَرْنَي الشيطان، قام فنَقَرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلاَّ قليلاً))؛ (رواه مسلم)

يقول ابن القيم عن أمارات المنافق

"زرع النفاق ينبت على ساقِيَتَين ساقية الكذب وساقية الرياء ،ومخرجهما من عَيَنين عين ضعف بصيرة وعين ضعف عزيمة فاذا تمت هذه الأركان الأربع استحكم نبات النفاق وبنيانه ولكنه بمدارج السيول على شفا جرف هارٍ فاذا شهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر وكشف المستور وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور تبين حينئذ لمن كانت بضاعته النفاق أن حواصله التي حصّلها كانت كالسراب قلوبهم من الخيرات لاهية وأجسادهم إليها ساعية والفاحشة في فجاجة فاشية وإذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية وإذا حضروا الباطل وشهدوا الزور انفتحت أبصار قلوبهم وكانت آذانهم صاغية فهذه –والله– أمارات النفاق فاحذرها أيها الرجل قبل أن تنزل بك القاضية".((مدارج السالكين))

: أسباب النفاق:

النفاق مرض خطير وشر مستطير، وكل مرض له أسباب تؤدي إليه، ومن أهمِّ أسباب النِّفاق:

- ضعف اليقين في الله – عزَّ وجلَّ – وما عندَه، فآثَر المنافِقُ الدنيا العاجلة؛ لأنَّها ملموسةٌ، وترَك الآخرة.

- خوْف الناس وخوْف ملامتهم، فهو يخاف أنْ يعاديَه المؤمن والكافر، فصار السبيل عندَه للخلاص هو إعطاء كلٍ منهما وجهًا يناسبه، لكن هو قلْبُه مع الكفَّار، فصار معولَ هدمٍ في صفوف المؤمنين؛ لذلك صار خطرُه أشدَّ وأنْكى بالمؤمنين مِن الكفَّار الظاهرين؛ لأنَّه لا يُدرَى متى يَغْدِر.

- حقْده على المسلمين؛ ونظرًا لأنَّه ليس في موقِف قوة، فإنَّه آثرَ العمل في الخَفاء، كعبدِالله بن أُبيٍّ بن سلول.

- خلو قلْبِه منَ الإيمان بالله، فصار قلبُه خربًا خاليًا من ذِكْر الله، وأصبح بيئةً خصبة للنفاق.

- كرْهُه للدِّين الإسلامي؛ لأنَّه حرَمَهم من الظلم الذي كان يمارَس على الضعفاء بغير وجهِ حقٍ؛ لأنَّ الدين الإسلامي ساوى بيْن الغني والفقير، بين القوي والضعيف، وحَفِظ حقوقَ البشر كلهم.[1]

- الابتلاءات والمحن

سُنة الله في عباده أن يَمتحنهم؛ ليعرف الصادق من الكاذب، فإذا جاءت الفتنة كانت سببًا في نفاق مَن كان إيمانه ضعيفًا، ومن أمثلة ذلك حادثة تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، فقد كانت اختبارًا وابتلاءً من الله، ومِحنة امتحَن الله بها الناسَ، وبعدها ارتدَّت طائفة عن الإيمان؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهذا حال الناس اليوم إلا من رحم ربي ، إذا ابتُلوا بالمِحن يَنقص إيمانهم كثيرًا، ويُنافق كثيرٌ منهم، وإذا انتصر الأعداء على المسلمين، ارتدُّوا عن الإسلام والعياذ بالله.

ورُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر: "إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم المنافِق العليم"، قالوا: كيف يكون المنافِق عليمًا؟ قال: يتكلَّم بالحِكمة، ويعمل بالجَوْر، أو قال: المنكر"؛ (جامع العلوم والحكم).

فالمنافق عليم اللسان، يُقبِّح الحق ويُجمِّل الباطل ببيانه، وقد يستدل في مسعاه الخبيث هذا بقال الله وقال رسوله، حاملاً النصوص على غير محملها، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "إنَّ المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهْد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، كانوا يومئذٍ يُسِرُّون، واليوم يَجهرون"؛ رواه البخاري.

لذلك كان خطرهم بليغ على المؤمنين.

خطورة المنافقين

- مُوالاتهم للكافرين وغدرهم بالمؤمنين:

[1] شبكة الالوكة

قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

– شقُّ صفوف المؤمنين وتخذيلهم، والسعي إلى فرقة الأمة:

ويتجلَّى خطرُهم في كونهم يتزيَّون بزي الإسلام وهم أعتى أعدائه، ويتدثَّرون بدِثار الإسلام وهم مَعقِل الكفر، فيَحسَبهم العوام مُسلمين، فيتَّبعون كلامَهم، وما هم إلاَّ زنادقة يَقذِفون مَن أجابهم في النار، وما مسجد الضرار الذي بنَوه في المدينة عنا ببعيد، فكان الهدف منه تفريق كلمة الأمة.[1]

– إفساد عقيدة العامة:

فقد أفسدوا عقائد كثير من الناس، والمتتبِّع لجذور الانحراف العقَدي في تاريخ المسلمين، يجد المنافقين وراءه، ، وما زالوا إلى الآن يبثون سمومَهم وأفكارهم الضالة عن طريق وسائلهم المخرِّبة للعقول.

– التعاون مع أعداء الأمة:

فما استطاع أعداء الإسلام أن يدخلوا بلاد الإسلام في أي عهد من العهود، إلا عن طريق المنافقين، فهم يسمون في التاريخ بالطابور الخامس، نعوذ بالله منهم.

ولخطورتهم أمرَنا الله تعالى أن نتَّخذ منهم موقفًا واضحًا حازمًا، فلم يرضَ من المؤمنين أن يَنقسموا في شأنهم فئتين، فقال في شأنهم: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ [النساء: ٨٨].

وإنما أحبَّ للمؤمنين أن يَجتمعوا على جهاد المنافقين والغِلظة عليهم

ونهى الله تعالى نبيَّه والمسلمين عن طاعة المنافقين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [الأحزاب]

ومن أمراض القلوب التي تصيب الإنسان في مقتل الرياء (الشرك الخفي)

[1] شبكة الألوكة

٥. مرض الرياء (الشرك الخفي)

- قال الله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبۡطِلُوا صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة ٢٦٤]

قال الشافعي – رحمه الله –: "لا يَعرف الرياء إلا مخلِص"؛ يعني: لا يتمكَّن في معرفة حقيقته، والاطلاع على غوامضه وخفاياه إلاَّ مَن أراد الإخلاص، فإنَّه يجتهِد أزمانًا في مطاولة البحث والفِكر، والتنقيب عنه، حتى يعرِفه أو يعرِف بعضَه. فهيا نتعرف على حقيقته

تعريف الرِّياء

- لغة : مشتق من الرؤية، وهي: النظر، يقال: راءيته، مراءاة، ورياء،يقال: تراءى الجمْعان أي رأى بعضُهم بعضًا.

ويقال: فلان يتراءى؛ أي: ينظر إلى وجهِه في المِرْآة وفي السَّيف.

فهو أن يُظهِر الإنسانُ من نفسه خلافَ ما هو عليه ليراه الناس.(١)

- اصطلاحا:

قال ابن حَجر: الرِّياء: إظهارُ العبادة لقصْد رؤية الناس لها، فيحمدوه عليها.

ورُوي أنَّ لقمان قال لابنه: "الرياء أنْ تطلبَ ثواب عملك في دار الدنيا، وإنَّما عمل القوم للآخِرة".

- وهو الشرك الخفي

قال أبوسعيد الخذري خرج علينا رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ – ونحن نتذاكر المسيحَ الدجالَ فقال : (ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيحِ الدجالِ ؟ ، فقلنا : بلى، يا رسولَ اللهِ قال : الشركُ الخفيُّ ": أن يقوم الرجل فيصلي فيزيدُ صلاتَه ؛ لما يرى من نظرِ رجلٍ " (صحيح ابن ماجة (٣٤٠٨))

- الفرْق بيْن الرِّياء والسُّمعة والنفاق:

---

[1] خطبة الشيخ عبد العزيز الفايز (عن مرض الرياء)

قال ابن عبد السلام: "الرياء أن يعملَ لغير الله، والسُّمعة أن يُخفِي عملَه لله، ثم يُحدِّث به الناس".

السُّمعة –كما قال الغزالي – تتعلَّق بحاسة السَّمْع، والرياء يتعلَّق بحاسَّة البصر.

فيكون المراد منها نحو ما يُراد من الرياء؛ إذ إنَّها مقرونةٌ بالرياء، ومحكوم لها بحُكمه من الفساد والنقصان.

أما النفاق فيشمل الرياء والسمعة فهما من أعمال وصفات المنافقين.

أنواع الرياء

وللرياء نوعان:

١/الرياء المحض :

يعنى أن يكون المرائي لا يبتغى الثواب أصلا ، بمعنى أنه يصلي ليقال أنه من المصلين ولكن إذا كان جالساً بمفرده فلا يصلي ، أو يحج ليقال أنه حاج ، ويكرم ضيفه ليقال إنه كريم وهكذا فهو يفعل ذلك ابتغاء الألسن التى تمدح فيه وتثنى عليه

٢/ رياء الشرك :

وهو من يريد الثواب والثناء عليه كمثل من يصلي إماما يريد ثواب الإمامة والمدح فيه على صوته أو خشوعه عند تلاوة القرآن فهو يعمل العمل لله ويرجو من الله الثواب والثناء والمدح من الناس .

صور الرياء ومظاهره:

قال الإمام الغزالي: "والمُراءَى به – يَعْني: مِن الخصال والمظاهر – تجمعه خمسةُ أقسام: وهي مجامِع ما يتزيَّن به العبدُ للناس، وهو: البدن، والزِّي، والقول، والعمَل والأتباع، والأشياء الخارِجة، وكذلك أهل الدنيا يُراؤون بهذه الأسباب الخمسة، إلا أنَّ طلب الجاه وقصْد الرياء بأعمال ليستْ من جملة الطاعات أهونُ من الرِّياء بالطاعات."

فالرِّياء صُوره كثيرةٌ لا تخفى، ومظاهره متعدِّدة لا تغيب عن أصحاب الفِطر السليمة والعقول المستنيرة بنُور الإيمان والإخلاص، وهو يكون مِن أهل الدِّين بنوعٍ، ومِن أهل الدنيا بنوع آخَرَ، والجميع يجمعهم طلبُ الدنيا وما عند الناس مِن الحمْد والثناء، وكما جاء في قول الغزالي مجملها في هذه الخمسة نماذج :

النموذج الأول: أن يكون مِن جهة البدن، بإظْهار النُّحول والصَّفار؛ ليريَهم بذلك شدَّة الاجتهاد، وغلَبة خوف الآخرة.

وكذلك يُرائي بتشعُّث الشَّعْر؛ ليظهرَ أنه مستغرقٌ في همِّ الدِّين، لا يتفرَّغ لتسريح شعره، ويقرُب مِن هذا خفْض الصوت، وإغارة العينين، وذبول الشفتَين؛ ليدلَّ بذلك على أنَّه مواظبٌ على الصَّوم.

وأمَّا أهلُ الدنيا، فيراؤون بإظهار السمن، وصفاء اللون، واعتدال القامة، وحسن الوجه، ونظافة البدن؛ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون: ٤].

النموذج الثاني: الرِّياء من جهة الزِّيِّ، كالإطراق حالةَ المشي، وإبقاء أثَر السجود على الوجه، وغِلظ الثياب، ولُبْس الصُّوف، وتشمير الثِّياب كثيرًا، وتقصير الأكمام، وترْك الثوب مخرقًا غير نظيف، ومن ذلك لبس الثِّياب المرقَّعة، ومنه التقنُّع فوقَ العمامة؛ لتنصرفَ إليه الأعين بالتمييز بتلك العادة.
وأمَّا أهل الدنيا، فمراءاتهم بالثِّياب النفيسة، والمراكِب الحسَنة، وأنواع التجميلِ في الملبس، وهم في بيوتهم يلبسون الثيابَ الخَشِنة، ويشتدُّ عليهم أن يُروا بتلك المنزلة.

النموذج الثالث: الرِّياء بالقول، فرِياء أهل الدِّين بالوعْظ والتذكير، وحِفْظ الأخبار والآثار؛ لأجْل المحاورة، وإظهار غزارةِ العِلم، والدلالة على شدَّة العناية بأحوال السَّلف، وتحريك الشَّفتين بالذِّكْر في محضر الناس، وإظهار الغَضَب للمنكرات بيْن الناس، وخفْض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن؛ ليدلَّ بذلك على الخوف والحزن، ونحو ذلك.
وأمَّا أهل الدنيا فيكون بالكلام المرْموق والتزلُّف للآخَرين، والمجاملة على حساب الدِّين في الأماكن العامَّة والحفلات؛ لاستمالة قلوب الآخَرين، وحِفْظ الأشعار الأمثال، والتفاصُح في العبارات.

النموذج الرابع: الرِّياء بالعمل: كمُراءاة المصلِّي بطول القِيام، وتطويل الرُّكوع والسُّجود، وإظْهار الخشوع، وكذلك بالصَّوْم والغزو، والحج والصدقة، ونحو ذلك.
وأمَّا أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختُر والاختيال.

النموذج الخامس: المراءاة بالأصْحاب والزائرين، كالذي يتكلَّف أن يَستزيرَ عالِمًا أو عابدًا؛ ليقال: إنَّ فلانًا قد زار فلانًا، وإنَّ أهل الدِّين يتردَّدون إليه، ويتبرَّكون به.
وكذلك مَن يرائي بكثرة الشيوخ؛ ليقال: لقِي شيوخًا كثيرة، واستفاد منهم، فيباهي بذلك، وأهل الدنيا يراؤون بزيارة رجال الأعمال والممثلين وأمثالهم.
فهذا جملةُ ما يرائي به المراؤون، على اختلافِ مقاصدهم ومطالبهم الفاسدة والباطلة.
فياترى ما دوافع المرائي وأسباب ريائه؟!

أسباب ودوافع المرائي

وفي مجملها تتلخص فيما يلي (بتصرف من خطبة الشيخ عبد العزيز الفايز)

- حب مدح الناس والحرص على أن يثني عليه الناس.

قال الحسن البصري: "أصْل الرِّياء حبُّ المحْمدَة."

- يخشى من ذم الناس ولومهم

- حب المكانة والجاه بين الناس.

- الجهل: جهل بحقيقةِ الرياء ومآلاته، وجهل بقيمة الإخْلاص وفوئده. وجهله بأسماء الله تعالي وصفاته فيخفي علي المرائي أن الله تبارك وتعالي يعلم السر والعلن ويعلم الغيب والشهادة.

قال بعضُ الحُكماء: "مثَل مَن يعمل رياءً وسُمعة، كمثَل مَن ملأ كيسَه حصًى، ثم دخَل السوق؛ ليشتريَ به، فإذا فتَحَه بين يدي البائع افتضح، وضرَب به وجهه، فلم يحصل له به منفعةٌ سوى قولِ الناس: ما أملأَ كيسه، ولا يُعطَى به شيء، فكذلك مَن عمِل للرياء والسُّمعة، لا منفعةَ له في عمله سوى مقالة الناس، ولا ثوابَ له في الآخرة".

ما أفتك هذا الداء وما أخطره، اللهم عافنا يارب

خطورة آثار الرياء

- صحائف الأعمال التي فيها رياء ترد على صاحبها:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة، فتنصب بين يدي الله تبارك وتعالى، فيقول تبارك وتعالى، ألقوا هذه واقبلوا هذه، فتقول الملائكة، وعزتك ما رأينا إلا خيراً، فيقول الله عز وجل إن هذا كان لغير وجهي، وإني لا أقبل اليوم إلا ما ابتغي به وجهي)) وفي رواية: ((فتقول الملائكة: وعزتك ما كتبنا إلا ما عمل، قال: صدقتم إن عمله كان لغير وجهي)).(رواه الطبراني في معجمه الأوسط بسند صحيح)

- الرياء يُقابَل صاحبه بالحرمان مِن الأجر والثواب وتوفيق الله

قال تعالى: : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. أي: باطلاً مضمحلاً.

وحديث محمود بن لبيد رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر))، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: ((الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، هل تجدون عندهم جزاء؟)) .رواه أحمد والطبراني.

وعن أبي هُريرة – رضي الله عنه – قال: قال – رسول الله عليه الصلاة والسلام – فيما يَرويه عن ربه: ((أنَا أغْنى الشُّركاء عن الشِّرْك؛ مَن عمِل عملاً أشْرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكه)) .(رواه مسلم٢٩٨٥)

- أهل الرياء هم أوَّل مَن تُسعَّر بهم النار يومَ القيامة:

أوَّل روَّاد أهْل النار هم أهلُ الرِّياء؛ جراءَ الأعمال التي قاموا بها وعملوها، لَم يبتغوا بها وجهَ الله – تبارك وتعالى – حيث جاء مِن حديثِ أبي هُرَيرة – رضي الله عنه – قال: سمعتُ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول: ((إنَّ أوَّل الناس يُقضَى يومَ القيامة عليه رجلٌ استُشهد، فأُتي به، فعرَّفه نِعمه عليه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدت، قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلت؛ لأنْ يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به، فسُحِب على وجهه، حتى أُلْقِي في النار، ورجل تعلَّم العِلم وعَلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفه نِعمه عليه فعرَفها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلمتَ العلم؛ ليُقال: عالِم، وقرأتَ القرآن؛ ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به، فسُحِب على وجهه حتى أُلْقِي في النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه مِن أصناف المال كلِّه، فأُتي به، فعرَّفه نِعَمه عليه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ مِن سبيل تحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنَّك فعلتَ؛ ليقال: هو جوَاد، فقد قيل، ثم أمر به، فسُحِب على وجهه، حتى أُلْقِي في النار)).(رواه مسلم: ٣٦٣٨)

- الوعيد الشديد بمَن يُرائي بعمله:

لقد توعَّد الله – تبارك وتعالى – الذين يُراؤون بأعمالهم، ولم يُخلِصوا له الوعيدَ الشديدَ بقوله – جلَّ جلاله –: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤ – ٧]. و﴿ وَيْل ﴾ هو (وادٍ في جهنمَ)

وقد ورد الوعيدُ على تعلُّمِ العِلم لغير وجه الله، كما جاء مِن حديث أبي هُريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((مَن تعلَّم عِلمًا مما يُبتغَى به وجه الله، لا يتعلَّمه إلا ليصيبَ به عرَضًا من الدنيا، لم يَجِدْ عَرْفَ الجنة يومَ القيامة)) (حديث صحيح .أخرجه ابو داوود وابن ماجه وأحمد). عَرْفَ الجنة يعني: رِيحها.

- الرِّياء شِرْك بالله ومحبط للاعمال :

لو لم يكنْ في الرِّياء إلا إحباط عِبادة واحدة، لكفَى في شؤمه وضررِه، فقد يحتاج الإنسانُ في الآخرة إلى عبادة تُرجِّح بها كِفَّة حسناته، وإلا ذُهِب به إلى النار، يقول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦]

والرِّياء بالأعمال منَ الشِّرك الأصغر(كما جاء في الأحاديث المذكورة سابقا).

قال ابن حجر الهيتمي: "... قد بان لك بما سبَق مِن الآيات والأحاديث وكلام الأئمَّة، أنَّ الرياء محبطٌ للأعمال، وسببٌ للمقْت عندَ الله، واللعْن والطرد، وأنَّه من كبائر المهلِكات"

فهلا عرفنا حكم اعمال من يرائي

حكم العمل إذا خالطَه الرياء

أولاً: أن يكون رياءً محضًا لا يُراد به سوى مُرآةِ المخلوقين لغرَض دُنيوي، و يصدر غالبًا في العبادات المتعَدِّية كالصَّدقة، وغيرها مِن الأعمال الظاهِرة، فيكون – والحالة هذه – هي حالة المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٤٢]،

فهذا العمل لاشك حابط، وأنَّ صاحبه يستحقُّ المقْتَ والعقوبة مِنَ الله.

ثانيًا: أن يكون العملُ لله، ويشاركه الرِّياء؛ فإنْ كان في أصْله فهو باطِل وحابِط،وعلى هذا طائفةٌ من السَّلف؛ منهم: عُبادة بن الصامت، وأبو الدرْداء، والحسن، وسعيد بن المسيّب، وغيرهم، وإن كان فيه خلاف عند المتأخِّرين.

ثالثًا: أن يكون أصْل العمل لله، ثم طرأت عليه نيَّة الرِّياء، فإنْ كان خاطرًا ودفعَه فلا يضرُّه بغيْر خِلاف، وإنِ استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا يضرُّه ذلك ويُجازَى على أصْل نيته؟

في ذلك اختلافٌ بيْن العلماء من السلَف، قد حكاه الإمامُ أحمد وابن جرير الطبري، ورجَّحَا أنَّ عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازَى بنيته الأُولى، وهو مرويٌّ عن الحسَن البصري وغيرِه.

ثم ذكر ابن جرير أنَّ هذا الاختلاف إنَّما هو في عمل يرتبط آخرُه بأوَّله؛ كالصلاة، والصِّيام، والحج، فأمَّا ما لا ارتباطَ فيه؛ كالقراءة، والذِّكْر، وإنفاق المال، ونشْر العلم، فإنَّه ينقطع بنيَّة الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديدِ نيته.

*وأمَّا إذا عمِل العملَ لله خالصًا، ثُمَّ ألْقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرِح بفضْل الله ورحمته، واستبشَر بذلك، لم يضرَّه ذلك.[1]

وفي هذا المعنى جاء حديث أبو ذر الغفاري قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: (أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عليه؟ قالَ: تِلكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ. وفي روايةٍ : وَيُحِبُّهُ النَّاسُ عليه. وفي حَديثِ عبدِ الصَّمَدِ: وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ). (رواه مسلم: ٢٦٤٢)

فهلا أخذنا الحيطة والحذر

قال الفُضَيل بن عِياض – رضي الله عنه –: "ترْك العمل لأجْلِ الناس رِياء، والعمل لأجْل الناس شرْك، والإخلاص أن يعافيَك الله منهما".

[1] موقع الدرر السنية

٦. مرض الشك والشبهة والريبة

قال تعالى : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (سورة الحج) ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾.(سورة البقرة) وروى الطبري من طريق قتادة في قوله (في قلوبهم مرض)، قال: ريبة وشك في أمر الله تعالى.

المراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق، وذلك أن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله، مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع كلها من مرض الشبهات، والزنا ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها من مرض الشهوات» (تفسير السعدي)

يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران]

وهو من أخطر الأمراض، وأشدها فتكا، ولا يزال بالإنسان حتى يوقعه في الشرك والكفر

– مرض الشبهة:

قال ابن القيم–رحمه الله–:" قال لي شيخُ الإسلام، وقد جعلتُ أُورِدُ عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعلْ قلبَك للإيرادات والشُّبُهَات مثل السفنجة فيتشربَها، فلا ينضح إلا بِها، ولكنِ اجعلْه كالزجاجة المصمتة، تمرُّ الشُّبُهَات بظاهرِها ولا تستقرُّ فيها، فيراها بصفائه، ويدفعُها بصلابته، وإلاَّ فإذا أَشْرَبْتَ قلبَك كُلَّ شُبهةٍ تمرُّ عليها، صارَ مقرًّا للشُّبهات، –أو كما قال–، فما أعلمُ أنِّي انتفعتُ بوصيَّة في دَفْعِ الشُّبُهَات كانتفاعي بذلك.(مفتاح دار السعادة)

يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطي:

" أما مرض الشبهة فإنه مرضٌ يأتي بسبب ضعف الإيمان، فالشبهات ترد على الإنسان بضعف إيمانه..."

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في بيان خطورة مرض الشبهات ومنشأ هذا المرض: الفتنة[1]

"والفتنة نوعان : فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما. ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى. فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع

[1] كتاب أعمال القلوب، د/ سهل العتيبي

ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: من الآية٢٣].

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى والضلال.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد، وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة".[1]

- مرض الشك:

شك القلب، والذي هو داء المنافقين، فإنه مرض يقضي على الإيمان ويقوض بناءه.

قال ابن حجر: في قوله تعالى (مرض الشك: شك القلب، والذي هو داء المنافقين، فإنه مرض يقضي على الإيمان ويقوض بناءه.)

هذا أخطر من المرض الحسي بلا ريب، فإن الأول يفسد الإيمان، وبالتالي يفسد الآخرة، وأما الثاني فغايته أن يموت البدن وينتقل إلى دار الآخرة.

الشك ينقض شهادة التوحيد، فإن من شروط صحة شهادة (لا إله إلا الله): اليقين، وهو الشرط الثاني بعد العلم، كما ذكره في (معارج القبول) فقال: اليقين المنافي للشك، بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: في المؤمنون، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات ١٥]. فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾. [التوبة ٤٥]

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة. (رواه مسلم :٦٨)

وهناك الشك المرضي النفساني الذي يصيب بعض الناس، فيؤرقهم ويفسد عليهم معايشهم، فهو نوع من الوسواس، وهناك مرض يدعى بالاضطراب الضلالي أو الشك المرضي، وهذا المرض أيضا إن اشتد فقد يكون ضرره أبلغ بكثير من المرض الحسي، وهذا النوع من المرض يُسأل عنه المختصون من الأطباء النفسيين وغيرهم.[2]

---
[1] كتاب " امتحان القلوب " لناصر بن سليمان العمر
[2] اسلام ويب

- سوء الظن

- معناه في اللغة:

السوء: أصل هذه المادة يدلُّ القبح، يقال: ساء الشيء: إذا قَبُح. والسُّوء: الاسم الجامع للآفات والداء، والسُّوءُ أيضًا بمعنى الفُجور والمنكر

الظن :ظنَّ الشَّيء ظنًّا: علمه بغير يقين، وقد تأتي بمعنى اليقين. والظِّنة: التهمة

- سوء الظن اصطلاحا:

قال الماوردي: (سوء الظن: هو عدم الثقة بمن هو لها أهل) [1] .

وقال ابن القيم: (سوء الظن: هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح على اللسان والجوارح) [2] .

وقال ابن كثير: سوء الظن (هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله) [3]

خلق انتشر كثيرا في زماننا، قال الله تعالى فيه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ .. ﴾

[الحجرات ١٢]

أمر الله تعالى باجتناب أكثر الظن، حتى لا يقع في سوء الظن كم وقعنا في البلايا والمصائب بسبب سوء الظن بين الأزواج وبين الأولاد وبين الأصحاب إلا ما رحم ربي، فسوء الظن يؤدي إلى الخصومات والعداوات ، وتقطع الصلات ، فقد يأتي سوء الظن بسبب اتباع الهوى الذي يوقعه في الظنون الكاذبة، أو يوقع نفسه في الشبهات، أو التنشئة الغير صالحة التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي حتى تورثه هذه المعاصي سوء ظن بمن ليس أهلا له وليس أريح لقلب العبد في هذه الحياة ولا أسعد لنفسه من حسن الظن، فبه يسلم من أذى الخواطر المقلقة التي تؤذي النفس، وتكدر البال، وتتعب الجسد.

[1] أدب الدنيا والدين

[2] [٥٨٩٤] ((الروح)) (٢٣٨/١) بتصرف يسير

[3] [٥٨٩٥] ((تفسير القرآن العظيم)) (٣٧٧/٧).

- الفرق بين سوء الظن والاحتراز: [1]

قال ابن القيم: (الفرق بين الاحتراز وسوء الظن: أن المحترز يكون مع التأهب والاستعداد، وأخذ الأسباب التي بها ينجو من المكروه، فالمحترز كالمتسلح المتطوع الذي قد تأهب للقاء عدوه، وأعد له عدته؛ فهمُّه في تهيئة أسباب النجاة ومحاربة عدوه، قد أشغلته عن سوء الظنِّ به)

وأما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح على لسانه وجوارحه، فهم معه أبدًا في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض، فالأول يخالطهم ويحترز منهم، والثاني يتجنبهم ويلحقه أذاهم، الأول داخل فيهم بالنصيحة والإحسان مع الاحتراز، والثاني خارج منهم مع الغش والدغل والبغض

- ذم سوء الظن والنهي عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية [2]

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٢- ٢٣].

قال السعدي: (وَلَكِن ظَنَنتُمْ بإقدامكم على المعاصي أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ فلذلك صدر منكم ما صدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم ولهذا قال: وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله.
أَرْدَاكُمْ أي: أهلككم فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة)
﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦]

قال ابن القيم: (توعد الله سبحانه الظانين به ظنَّ السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث)) (رواه البخاري ومسلم)

[1] [٥٨٩٦] انظر: ((الروح)) (١/٢٣٧-٢٣٨) بتصرف
[2] [٥٩٠٦] انظر: ((سبل السلام)) (٢/٦٦٤-٦٦٥).

قال الصنعاني: (المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والظنَّ)) سوء الظنِّ به تعالى، وبكلِّ من ظاهره العدالة من المسلمين. وقوله: ((فإن الظن أكذب الحديث)). سماه حديثًا؛ لأنَّه حديث النفس، وإنما كان الظنُّ أكذب الحديث؛ لأنَّ الكذب مخالفة الواقع من غير استناد إلى أمارة، وقبحه ظاهر لا يحتاج إلى إظهاره.

لإننا إذا بدأنا بسوء الظن يجرنا إلى المعاصي من التجسس والتحسس وتتبع أخبار الآخرين، ويقطع العلاقة بين المتآخين

- آثار سوء الظن

١- سبب للوقوع في الشرك والبدعة والضلال:

قال ابن القيم: [1]

الشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله تعالى.. لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين ، ولهذا قال إبراهيم إمام الحنفاء لخصمائه من المشركين: ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات ٨٦]

٢- سبب في استحقاق لعنة الله وغضبه:

قال تعالى: " وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" الفتح

٣- يورث الإنسان الأخلاق السيئة، ومدعاة للكذب:

سوء الظن يورث الإنسان الأخلاق السيئة كالجبن والبخل والشح والحقد والحسد والتباغض

قال ابن عباس رضي الله عنه: (الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل) [٢]

قال الخطابي: (الظن منشأ أكثر الكذب)[٣]

[1] إغاثة اللهفان
[2] الأداب الشرعية لابن مفلح
[3] [٥٩٢٠] ((عمدة القاري)) لبدر الدين العيني (٢٣/٢٣٢)

٤- سبب في وجود الأحقاد والعداوات، ويؤدي إلى تتبع عورات الأخرين:

قال الغزالي: (من ثمرات سوء الظن التجسس، فإنَّ القلب لا يقنع بالظنِّ، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضًا منهي عنه، قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات: ١٢]. فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة، ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر؛ حتى ينكشف له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلم لقلبه ودينه) [1]

٥- سبب في مرض القلب، وعلامة على خبث الباطن

قال الغزالي: (مهما رأيت إنسانًا يسيء الظن بالناس طالبًا للعيوب، فاعلم أنه خبيث الباطن وأنَّ ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق)[1]

٦- الحسرة والندامة : فقد ينتهي سوء الظن بصاحبه بعد البحث ومحاولة التحقق أو التأكد إلى عكس ما توهم، وهنا تكون الحسرة والندامة إن كانت لا تزال هناك بقية من خير في الفطرة.

٧- القلق والاضطراب النفسي: لإن سوء الظن يجعله في قلق دائم بحثا وراء توهمه، ويفوت عليه من الخير الكثير بسبب اضطراب نفسه وأحواله.

[1] إحياء علوم الدين

٧. مرض الحسد والغيرة

ومن الصفات المذمومة "الحسد" الذي دبَّ في كثير من المجتمعات، وانقطعت الأوصال بين الناس من أجل الحسد، وذلك أن الشخص يتمنَّى زوال النعمة التي رزقها الله لذلك العبد؛ قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤]، وهذه الصفة المذمومة يَتولَّد منها الحقد والغيبة والهجر وأمورٌ كثيرةٌ، فالواجب على المسلم إذا رأى ما يعجبه أن يقول: "ما شاء الله تبارك الله"؛ لكي لا يحسد أخاه المسلم على تلك النعمة، فالإنسان ينظر إلى مَنْ كنوزه ملأى، ولا يغيضها النفقة؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١].

قال بعض العلماء: ليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقر لعينه، من أن يعيش سليم القلب، مبرَّأً من وساوس الضَّغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحدٍ رضي بها، وأحس فضل الله فيها وفقر عباده إليها، وذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدَّى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي، فقد أدَّى شكر ليلته "
(إسناده ضعيف: أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (7) (وفي الكبرى: 9750))

وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة، مستريح النفس من نزغات الحقد الأعمى، فإن فساد القلب بالضغائن داء عياء، وما أسرع أن يتسرَّب الإيمان من القلب المغشوش كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم! ونظرة الإسلام إلى القلب مهمة، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة، ويطمس بهجتها، ويُعكِّر صفوها، أما القلب المشرق، فإن الله عز وجل يبارك في قليله، وهو إليه بكل خير أسرع.[١]

فالحسد من الأمراض القلبية التي تصيب بعض الناس ، بسبب الغيرة ، وعدم الرضا بالقضاء ، فمن الناس من إذا رأى نعمة أنعمها الله عز وجل على أحد من الناس ، تحركت نفسه الخبيثة ، وغيرته القبيحة ، وبدأ يفري ويهري

[1] شبكة الألوكة

في ذلك المسكين ، وكان الواجب عليه أن يدعو الله لأخيه بالبركة ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، ويمنعه عمن يشاء ، بحكمته وعلمه سبحانه .[١]

– آفة الحسد [٢]:

الحسد آفة الحساد ، ومرض مهلك للأكباد ، مدمر للجماعات والأفراد ، يهلك صاحبه قبل المحسود .

قال علي رضي الله عنه : " الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له " .

وقيل : " الحسود غضبان على القدر " .

ويقال : " ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش : الحقد ، والحسد ، وسوء الخلق " .

وقيل : " بئس الشعار الحسد " ، وقيل لبعضهم : ما بال فلان يبغضك ؟ قال : لأنه شقيقي في النسب ، وجاري في البلد ، وشريكي في الصناعة ، فذكر جميع دواعي الحسد .

وقال أعرابي : " الحسد داء منصف ، يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود " ، قاتل الله الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله .

وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمة الله تعالى عليه : " يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود :

أولاها : غم لا ينقطع .

الثانية مصيبة لا يؤجر عليها .

الثالثة : مذمة لا يحمد عليها .

الرابعة : سخط الرب .

الخامسة : يغلق عنه باب التوفيق .

وحكي أن رجلاً من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمة ، وصار يدخل على حريمه من غير استئذان ، وكان له وزير حاسد ، فغار من البدوي وحسده ، وقال في نفسه : إن لم أحتل على هذا البدوي في قتله ، أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه ، فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به إلى منزله ، فطبخ له طعاماً وأكثر فيه من الثوم ، فلما أكل البدوي منه قال له : احذر أن تقترب من أمير المؤمنين فيشم منك فيتأذى من ذلك ، فإنه يكره رائحته ، ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين فخلاً به وقال : يا أمير المؤمنين ! إن البدوي يقول عنك للناس : إن أمير المؤمنين أبخر ، وهلكت من رائحة فمه ، فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين ، جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم .[٣]

[1] كتاب مدارج السالكين.
[2] موقع صيد
[3] مصادر أسباب أمراض القلوب

فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال : إن الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح ، فكتب أمير المؤمنين كتاباً إلى بعض عماله يقول فيه : إذا وصل إليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله .

ثم دعا البدوي ودفع إليه الكتاب وقال له : امض به إلى فلان ، وائتني بالجواب ، فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين ، وأخذ الكتاب وخرج به من عنده ، فبينما هو بالباب إذ لقيه الوزير فقال : أين تريد ؟ قال : أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان ، فقال الوزير في نفسه : إن هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل ، فقال له : يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ، ويعطيك ألفي دينار ، فقال : أنت الكبير ، وأنت الحاكم ، ومهما رأيته من الرأي أفعل ، قال : أعطني الكتاب فدفعه إليه ، فأعطاه الوزير ألفي دينار ، وسار بالكتاب إلى المكان الذي هو قاصده ، فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير ، فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي ، وسأل عن الوزير ، فأخبر بأن له أياماً ما ظهر ، وأن البدوي بالمدينة مقيم ، فتعجب من ذلك ، وأمر بإحضار البدوي فحضر ، فسأله عن حاله ، فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها ، فقال له : أنت قلت عني للناس إني أبخر ؟ فقال : معاذ الله يا أمير المؤمنين أن اتحدث بما ليس لي به علم ، وإنما كان ذلك مكراً منه وحسداً ، وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه ، فقال أمير المؤمنين : قاتل الله الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله ، ثم خلع على البدوي ، واتخذه وزيراً ، وراح الوزير بحسده ، وقال المغيرة شاعر آل المهلب :

آل المهلب قوم إن مدحتهم * كانوا الأكارم آباء واجداداً
إن العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حساداً

وقال عمر رضي الله عنه : " يكفيك من الحاسد ، أنه يغتم وقت سرورك " .

وقال مالك بن دينار : " شهادة القراء مقبولة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض ، فإنهم أشد تحاسداً من التيوس ".[1]

وعن أنس رضي الله عنه رفعه : " إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب " [حديث ضعيف] .

وقال منصور الفقيه : منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

قال الشاعر : أيا حاسداً لي على نعمتي * أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه * لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني *** وسد عليك وجوه الطلب

[1] صيد الفوائد

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له : " ما أطول عمرك ؟ " فقال : تركت الحسد فبقيت .[1]

وقالوا : لا يخلوا السيد من ودود يمدح ، وحسود يقدح .نسأل الله أن يطهر قلوبنا من الحسد والحقد والغل ، وأن يجعلنا أخوة متحابين متعاونين ، إنه على كل شيء قدير .[2]

– مضار الحسد [3]

للحسد مضار كثيرة ، ومساوئ خطيرة منها :

١– اكتساب سخط الله تعالى لعدم الرضا بقضائه ، بل ولأنه لا يرى أن قضاء الله عدلاً .

٢–كسب الأوزار لمخالفة أمر الله تعالى ، لأن الحاسد لا يرى لنعم الله من الناس أهلاً .

٣– حسرات النفس التي لا يجد لها انتهاءً .

٤– مرض الجسد الذي لا يجد له شفاءً .

٥– انخفاض المنزلة ، وانحطاط المرتبة .

٦– مقت الناس للحاسد ، حتى لا يجد فيهم محباً ولا صديقاً ، فيصبح بالمقت مزجوراً .

٧– عداوة الناس للحاسد ، حتى لا يرى فيهم ولياً ، فيصير بالعداوة مأثوراً .

٨– الحسد يجلب النقم ، ويزيل النعم .

٩– الحسد منبع الشرور العظيمة ، والعواقب الوخيمة .

١٠– الحسد يورث الحقد والظغينة في القلب ، وهي أسباب دخول النار والعياذ بالله .

١١– الحسد معول هدم في المجتمع .

١٢– الحسد دليل على سفول الخلق ، ودناءة النفس [نظرة النعيم ٤٤٢٩/١٠] .

---

[1] موقع طريق الاسلام
[2] خطبة أمراض القلوب وعلاجها- مسجد التوحيد
[3] محاضرة للشيخ عمر رشيد الزبيدي (بتصرف)

٨. الكبر والاعجاب بالنفس واحتقار الآخرين

من أمراض القلب الكبر والاعجاب بالنفس و احتقار الآخرين:-

ومن أعظم أمراض القلوب: الكبر والعجب، ولا يتكبر إلا من استعظم نفسه ورأى لها مكانًا، ولا يكون ذلك إلا حين يتخيل أن لها صفة من صفات الكمال؛ كرؤيته لنفسه أنه في الدين أفضل من غيره أو في علم أو عمل ما، أو لمزية دنيوية: كالنسب، والمال، والجمال، والقوة، والذكاء، وكثرة الأنصار ونحو ذلك. فالكبر استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير.

وعلامة المتكبر: أنه إنْ وعظه أحدٌ استنكف من القبول، وإن وعظ عنَّف في النصح، وإن رُدَّ عليه شيء من قوله غضب، وإن علَّم لم يرفق بالمتعلمين، واستذلهم وامتنَّ عليهم، وإن رأى لمن دونه تكريمًا حقد عليه. ويحب قيام الناس له أو بين يديه، ولا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه، ويحب أن يُثنَى عليه في المجالس، وأن يصدر في المجالس، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ" (رواه مسلم: ٩١).

فإذا أعجب المرء بنفسه أو بعلمه أو بعمله، أو بشيء من أسبابه، استعظم نفسه وتكبر، أورثه ذلك تكبرًا في الظاهر فظهر ذلك على أقواله وأعماله وأحواله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وهكذا العقوبات في الدنيا أو في الآخرة تكون متجانسة مع الذنب، فالمتكبر يُحشَر في أسوأ الصور وأحقرها، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ

تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ" (أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد: ٥٥٧، وحسنه الألباني).

عباد الله: ومن عرف نفسه وأصل خلقته وطبيعة تركيبته وأطوار حياته لا يتكبر على غيره ولا يعجب بنفسه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٠-٢٣]، ولما يقف المرء على هذه الحقيقة يدرك حينها أنه أذل من كل ذليل، وأنه لا يليق به إلا التواضع.

وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا لصاحبها الله وحده لا شريك له، ثم يذعن لله ذلاً ولسائر خلقه تواضعًا.

أسأل الله أن يصلح لنا قلوبنا، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، وأن يوفقنا لخشيته في السر والعلن، وأن يجعلنا ممن يخافونه بالغيب، إنه سميع مجيب.[1]

[1] موقع الخطباء



وهو مرض خطير، وداء يقتل ويهلك الأفراد والأمة على حد سواء، وهو على نوعين:

١. التحزب لبعض المبادئ الأرضية:

كالقومية والوطنية والعلمانية وغيرها من المبادئ الضالة، ونحن نسمع عما يسمى (الوحدة الوطنية)، وهي الحب على أساس المواطنة، فما كان من وطنك تحبه سواء كان مسلمًا أو فاسقًا أو كافرًا، فالمهم أنه مواطن مثلك، بينما لا تحمل هذا الشعور لأخ مسلم من غير وطنك، ولو كان من أتقى الناس.

فهي موالاة ومعاداة على أساس الوطن. ولا يُفهم من هذا الكلام أننا لا نحب الوطن، كلا،فهو أمر جبلي مركوز في النفس، لكن حب الوطن لا بد أن يكون خاضعا لحب الله وحب رسوله.

٢. التحزب من بعض المسلمين ضد بعض:

فنجد بعض الدعاة يتحزبون ضد بعض، وبعض طلبة العلم يتحزبون ضد بعض، فيحب هذا أكثر من هذا لأن الأول من حزبه، ولو كان الثاني أتقى منه وأفضل. وهذا خطأ كبير.فالواجب موالاة المسلمين لإيمانهم، ومعاداة الكفار لكفرهم، ولا يجوز التحزب لغير الحق، فإنه يورث الأمة التفرق والتشتت.[1]

[1] ملخص من امتحان القلوب، د. ناصر العمر، موقع طريق الإسلام.

١٠. الهوى ومحبة غير الله

والهوى هو: ميل النفس إلى ما فيه ضررها فتخلو بذلك من الفضائل، وتسقط في القبائح والرذائل. فيوقعها ذلك في الرذائل والقبائح، ويُخليها من الفضائل، وبقدر ما يتَّبعُ الإنسان هواه يمرض قلبه ويزيد ويعظم، وهذا كمريض البدن الذي يشتهي ما يضره، مريض سكر لكنه يحب السكر، إذا أطاع نفسه بأكل السكر وهو مريض بهذا المرض، فإنه يتلذذ بما يحب من طعم، لكن عاقبة هذا التلذذ ألمٌ، وقوة مرضٍ، وزيادة سُقمٍ به يفقد صحته، ويُردي بدنه، كذلك فيما يتعلق باتباع الهوى.[١]

لقد تضافرت النصوص من الكتاب والسنّة وآثار السلف على ذم الهوى وتعظيم شأنه وخطره.فقدذكر ذم الهوى في القرآن الكريم والسنة أكثر من موضع منها :

– أولا من القرآن

– قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨]

– وقال تعالى ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ [طه:١٦]

– ومن السنة

– وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه".(المعجم الأوسط للطبراني١٢/٤٩٣وقال عنه الألباني حسن لغيره وانظر صحيح الترغيب و الترهيب /٣٥٦)

– وإليك بعضاًمن أقوال السلف :

قال بشر الحافي–رحمه الله–تعالى–: "البلاء كله في هواك والشفاء كله في مخالفتك إياه".

وقال رجل للحسن البصري –رحمه الله تعالى–: "يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك".

[1] مقال: اتباع الهوى هو جامع أمراض القلوب، الشيخ خالد المصلح

وقال الشعبي:"إنما سمي الهوى هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار، وقال ابن عباس: "ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه".

الأسباب الدافعة لاتباع الهوى:

أولاً: ضعف المعرفة بالله والدار الآخرة: فلو عرف العبد ربه حق المعرفة، وقدره حق قدره، ما آثَر هواه على ما يحبه ويرضاه –سبحانه وتعالى– كما قال سبحانه: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٧٤]، ولو أدرك –متبع الهوى– حق الإدراك الدار الآخرة وما فيها وما أعد الله –عز وجل– فيها لأهل الأهواء ما تبع هواه.

ثانياً: فراغ القلب من الإخلاص لله –عز وجل–: فإذا انعدم الإخلاص لله –عز وجل– في قلب العبد استحوذ عليه الهوى وانقطعت عنه موارد التوفيق وخرج عن الصراط السوي ووقع فيما حذر الله منه ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ثالثاً: تقصير الآخرين في نصيحته، وبالتالي قد لا يرى أنه مخطئ، فالله –عز وجل– قد جعل سنة التدافع بين البشر؛ ليزجر بعضهم بعضاً فقال سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠]. فقد تزل قدم العبد ويتمادى في المعصية واتباع الهوى فلا يجد من يردعه عن هذا المنكر فيظن أنه يسير في طريق الحق حتى يتمكن الهوى من قلبه ويصبح أسيراً لهواه وهذا من أضل الضلال كما قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠]. ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على مقاومة المنكرات، وعدم السكوت عنها ولكن بالأسلوب المناسب، ومع التكرار، نظراً؛ لأن غالبها ناشئ عن اتباع الهوى.

رابعاً :الجهل بآثار هذا الداء الخطير: فالذي يجهل آثار الهوى ولا يدرك خطورة هذا المرض لا يميز بين باعث الهوى وما ليس كذلك فيضل عن طريق الهداية وهو لا يشعر كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا*الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣–١٠٤].

خامساً: الكبر والعناد: وهذا من أخطر الأسباب المؤدية إلى اتباع الهوى، والكبر قد عرفه النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الصحيح: "الكبر بطر الحق وغمط الناس". فالمستكبر ينكر الحق وإن كان واضحاً للعيان

ويؤثر اتباع الهوى بسبب استكباره كما قال سبحانه: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الفرقان:٥٠]،

وقد يتمادى في طاعته لهواه مع علمه ببطلانه لكن استكباره عن الرضوخ للحق أصبح مانعاً بينه وبين الانقياد لله فكان قائده هواه، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص:٢٣].

سادساً :عدم التعود على ضبط الهوى منذ الصغر: فالدلال المفرط من قبل الأبوين منذ الصغر قد يكون سبباً في غرس هذا المرض في نفس الإنسان، وقد جعله الدكتور السيد محمد نوح –رحمه الله– أول سبب في ذلك حيث قال: "إن الإنسان قد يلقى من أبويه منذ الصغر حباً مفرطاً وحناناً فوق المطلوب بحيث يطغى هذا الحب وذلك الحنان على تنمية الضوابط الفطرية والشرعية التي لابد منها لتنظيم الرغائب أو الدوافع وحينئذ يكبر هذا الإنسان ويكبر معه الانسياق وراء العواطف والرغائب حتى لو كانت مخالفة للمشروع إذ لمن شب على شيء شاب عليه إلا من رحم الله –عز وجل–".

سابعاً: حب الدنيا و الركون إليها مع نسيان الآخرة: ذلك أن من أحب الدنيا، وركن إليها ونسى الآخرة يتولد عنده سعي حثيث؛ لتلبية كل ما يفرضه هذا الحب، وذلك الركون، حتى وإن كان مخالفاً لمنهج الله، وذلك بعينه هو اتباع الهوى، وقد لفت المولى النظر إلى هذا السبب في قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس :٧] كما لفت النبي –صلى الله عليه وسلم–: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله".رواه التِّرْمِذيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ [1]

– مظاهر إتباع الهوى

متبع الهوى أصبح منقاداً لهواه، غير متحرر من عبوديته لشهوات نفسه، فكلما هويت نفسه شيئاً أقدم إليه، دون رادع يردعه فلذلك تظهر على أعماله بعض المظاهر نذكر منها ما يلي:

أولاً:الجدل بالباطل وعدم الاعتراف بالخطاء

فصاحب الهوى تجده لا يتقبل النصيحة ولا النقد ويفسر هذا النصح بالكراهة له من قبل الناصح يذهب بنفسه مذاهب العجب والغرور حتى يشمخ بأنفه، ويستعلي على غيره، ويأنف من قبول الحق ومن الإذعان للنصح متبعاً هواه، مضرباً عن كل ما سواه من البينات والهدي.

[1] مقال :أمراض على طريق الدعوة/منتدى ملتقى الخطباء

ثانياً: إنكار بعض المنكرات دون البعض لهوىً في نفسه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يصف حال هؤلاء: «إنهم يتبعون هواهم لا أمر الله فهؤلاء لا يفعلون ولا يأمرون إلا بما يحبونه بهواهم ولا يتركون وينهون إلا عما يكرهونه بهواهم وهؤلاء شر الخلق قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣]، قال الحسن: هو المنافق لا يهوى شيئا إلا ركبه.

ثالثاً: التعلق بالأشخاص وتعظيمهم

وهو التعلق بالأشخاص حبا لشخصه وليس التعلق بالشخص حبا لعلمه أو لدينه، ومما لا شك فيه أن محبة الصالحين مما يتقرب بها لله عز وجل، ولكن قد تكون هذه المحبة من اتباع الهوى إذا وصل التعلق بهذا الشخص من دون الله، فيجعل هذا المتعلق يسمع لهذا الشخص حتى لو كان على خطأ ويعادي الناس من أجله ويجعل سبب هذا العداء تحت رأيه فلا يكره في الله ولا يبغض في الله فليس هذا انتقاما لحرمات الله وقد يحكم على الآخر وفقاً لما يمليه عليه هواه ولما يستقر في نفسه من آراء، فإذا بذلك يحمله على ترك العدل الذي أمره الله به.[١]

وقال ابن رجب:"وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقًا، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه".

إذاً فالهوى في الأصل ميل النفس إلى ما تهواه، فإن مالت إلى ما يخالف الشرع فهو الهوى المذموم، وإن مالت إلى ما يوافق الشرع فهو الممدوح، وإذا ذكر الهوى مطلقًا أو ذكر ذمه فإنما يراد به الهوى المذموم لأنه الغالب -والله أعلم-.[٢] .

والمحبة النافعة ثلاثة أنواع: (محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته)

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: (المحبة مع الله ،ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها)

فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق فمحبة الله تعالى أصل المحاب المحمودة وأصل الإيمان والتوحيد والنوعان الآخران تبع لهاوالمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة والنوعان الآخران تبع لها [٤]وهي آفة الآفات، والسم الزعاف لهذا القلب، يوم أن تكون محبة الشخص لغير الله، وموالاته ومعاداته في سبيل دنياه،

[1] مقال :من وسائل التزكية العملية عدم اتباع الهوى /موقع جامعة الإيمان
[2] كتاب :إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان لابن القيم

وأهوائه، وأطماعه الشخصية. وهذا لا شك موصل صاحبه إلى الهلاك والبوار وتأمل معي في هذه الآية: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً ﴾ [القصص:٥٠].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان كون الحب يعمي ويصم: ".. ولذلك قال الشاعر:

عدو لمن عادت، وسلم لأهلها * ومن قربت ليلى أحب وأقربا

فهذا جعل الولاء والبراء في ليلى، وليس في الله. وذكر شيخ الإسلام أيضا قصة رجل أحب امرأة سوداء حبًا عجيبًا، أخذت عليه مجامع قلبه، فيقول هذا الرجل:

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

والواجب أن يكون حبنا وبغضنا، وعطاؤنا ومنعنا، وفعلنا وتركنا لله سبحانه وتعالى لا شريك له، ممتثلين قوله، صلى الله عليه وسلم: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان» (رواه أحمد).

وأسوأ أنواع الحب محبة أعداء الله. [1]

لا ينبغي أن يكون الخوف من أحد إلا من الله عزوجل والخوف منه وحده بالإيمان، وجعل الخشية منه حكراً على أحياء القلوب، فقال على سبيل التقرير والتوبيخ: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة من الآية:١٣] ، وقال آمراً وناهياً في آن واحد: ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ ﴾ [آل عمران من الآية:١٧٥]. وعدم الخوف إلا من الله دليل على حياة القلب وجسارته كما ذكروا أن رجلاً شكا إلى الإمام أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال: "لو صححت لم تخف أحداً". وذلك مع التسليم بأن الخوف الجبلي الذي لا يمنع من أداء الواجب لا يقدح في صحة القلب كخوف الإنسان من عدوه ومن المخاطر والأهوال، أما الخشية الكاملة فلا تكون إلا من الله وحده.

[1] مقال :الهوى والخوف من غير الله /موقع طريق الإسلام

١١.مرض قسوة القلب

معنى القسوة لغةً:

القسوة اسم من قَسا القَلْب يَقْسُو قَسْوة وقَساوة وقَساء، وهو غلظ القلب، وشدَّته، وهو قاسٍ وقَسِي على فعيل، وأقساه الذنب، ويقال: الذنب مقساةٌ للقلب، والقَسْوَةُ الصلابة في كل شيء، وأصل هذه المادة يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَصَلَابَةٍ .((المصباح المنير (٢/٥٠٣).

معنى القَسْوة اصطلاحًا:

قال ابن منظور: (القسوة في القلب، ذهاب اللين، والرحمة، والخشوع منه) (لسان العرب لابن منظور (١٥/١٨٠).

وقال الجاحظ[1]: (القساوة: وهو خلقٌ مركبٌ من البغض، والشَّجَاعَة، والقساوة، وهو التهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى) [انظر: ((تهذيب الأخلاق(٣٠).]

- ذم القسوة في القرآن الكريم :

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]؛
قال القرطبي رحمه الله: "القسوةُ: الصلابة والشدة واليبس، وهي عبارة عن خلوِّها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى" (تفسير القرطبي: ١/ ٤٦٢).

وقال عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢]؛
قال الشيخ السعدي رحمه الله: "أي: لا تلين لكتابه، ولا تتذكر بآياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي مُعرِضة عن ربها، مُلتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشرُّ الكبير" (تفسير السعدي: ١/ ٧٢٢)

[1] الدرر السنية

- ذم القسوة في السنة النبوية:

عن أبي مسعود قال: "وَأَشَارَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ: الإيمَانُ هَا هُنَا - مَرَّتَيْنِ - ألَا وإنَّ القَسْوَةَ وغِلَظَ القُلُوبِ في الفَدَّادِينَ - حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ - رَبِيعَةَ ومُضَرَ." (صحيح البخاري/٥٣٠٣)

قال الخطابي: (إنمَّا ذم هؤلاء، لاشتغالهم بمعالجة ما هم عليه عن أمور دينهم، وتلهيهم عن أمر الآخرة، وتكون منها قساوة القلب)

- أقوال السلف والعلماء في القسوة[1]

قال مالك بن دينار: (أربع من علم الشقاوة: قسوة القلب، وجمود العين، وطول الأمل، والحرص على الدنيا)

وقال سهل بن عبد الله: (كل عقوبة طهارة، إلا عقوبة القلب فإنها قسوة)

قال ابن القيم: (ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله.)

- أعراض ومظاهر قسوة القلب:[2]

١- التكاسل عن الطاعات وأعمال الخير، وربما التفريط فيها أو أداؤها بلا خشوع وطمأنينة، فضلًا عن نظرِ بعضهم إلى الفرائض والواجبات الشرعية كأنها أثقال ينوء بها

٢- عدم التأثُّر بآيات القرآن الكريم والمواعظ والرقائق؛ فقاسي القلب يسمعُ آيات الوعد والوعيد، فلا يتأثر بها، ولا يخشع قلبُه لها، ويزيد على ذلك بأن يغفل عن قراءة القرآن وسماعه، ويجد ثقلًا وانصرافًا عنه، مع أن الله تعالى يقول: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥].

٣- التعلُّق الزائد بالدنيا، والولع بها، وإيثارها على الآخرة، فتصبح الدنيا همَّه وشغله الشاغل، ومثل هذا يُبتلى بالحسد والأنانية والبُخل والشح.

٤- ضعف تعظيم الله تعالى في قلبه، وخُفوت جَذوة الإيمان في نفسه، فلا يغضب لانتهاك محارم الله، ولا يَعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، ولا يبالي باقتراف المعاصي والمحرَّمات.

---

[1] موسوعة الأخلاق

[2] مقال: قسوة القلب، مظاهره، أسبابه، علاجه،د. زلفى أحمد محمد الخراط

٥- الوحشة المظلمة التي يجدُها قاسي القلب، فيغدو ضيِّق الصدر، قلقًا متوترًا لا يطمئنُّ أو يهنأ بعيش، وما علم ذاك أنه السبب في هذه الوحشة وبيده علاجها.

- أسباب قسوة القلب:[1]

١- كثرة ارتكابِ المعاصي والمحرَّمات:فالمعصية - وإن كانت صغيرة - تمهِّد الطريق لأختِها حتى تتابع المعاصي، ولا يدرك صاحبُها الخطر،

٢- الغفلة: وهي داء وَبِيل، ومرض خطير، إذا استحوذ على القلوب، وتمكَّن من النفوس، واستأثر على الجوارح، أدَّى إلى انغلاقِ كلِّ أبواب الهداية، وقد أخبر الله تعالى عن أصحابِ الغفلة أنهم أصحابُ قلوب قاسية، لا ترقُّ ولا تلين، ولا تنتفع بالموعظة

٣- التعلق بالدنيا والانشغال بملذَّاتها: فمع أن هذه الدنيا تافهةٌ لا تساوي عند الله جناح بَعوضة، يأتي العبد ويتعلَّق بها ويتلهَّى بملذَّاتها وملاهيها.

٤- نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله:ويا لهول الموت والقبر، ويا لعظم قسوة قلبِ مَن ينسى هذا، ويتغافل عن ذكره!

ويضيف ابن القيم رحمه الله أسبابًا خمسة لقسوة القلب، أجمَلَها بقوله: "مفسدات القلب خمسة: كثرة الخلطة، وركوب بحر التمني، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم" (مدارج السالكين: ١/ ٤٥١)

- علاج قسوة القلب:

١- النظر في آيات القرآن الكريم، والتفكُّر في وعد الله عز وجل ووعيده، وأمره ونهيه، بعين دامعة، وقلب خاشع، ونفس تتوهج إيمانًا من أعماقها، تريد السير إلى ربها خالقها وبارئها

٢- المعرفة بالله تعالى، جل جلاله، فمَن عرَف ربَّه حق المعرفة رقَّ لُبُّه، ومَن جهِل ربَّه قسا قلبُه

٣- الإكثار من التوبة والذكر والاستغفار؛ فإن للقلب قسوةً لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، وقد شكا رجلٌ للحسن قسوةَ قلبه، فقال له: "أَذِبْه بالذكر"(روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ١٦٧)

٤- معاهدة النفس ومحاسبتها ومعاتبتها: فالإنسان إذا لم يُجاهِد نفسه ويحاسبها على كل صغيرة وكبيرة، ويعاتبها ويتَّهِمها بالتقصير، لن يدرك حقيقة مَرَضها، وبالتالي لن يمكنه علاجُها، ولن يسهل عليه قيادها.

٥- استماع الموعظة وتقبُّلها هو بداية العلاج، والنقطة البيضاء التي ستنطبع على القلب الغافل الناسي

---

[1] شبكة الألوكة

١٢.الخشية والخوف من غير الله

تعريف الخوف

والخوف توقع مكروه لعلامة مظنونة أو معلومة، وهو ضد الأمن ويستعمل في الأمور الدنيوية أو الآخروية فهو توقع حلول مكروه أو فوات محبوب،اضطراب القلب وحركته أو فزعه من مكروه يناله أو محبوب يفوته.

قال ابن قدامة: اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ..والخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ،خوفاً مقروناً بمعرفة .

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – : ((الخشية خوف مبني على العلم بعظمة من يخشى وكمال سلطانه))..

فإذا خفت من شخص لا تدري هل يقدر عليك أم لا فهذا خوف وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية.[١]

– أنواع الخوف

الخوف من الله تعالى

ليس هناك ما هو أعظمُ من الخوف المتعلّق بالله تقدّست أسماؤه وعزّ سلطانُه؛ لأنّه خوفٌ على وجه التعبّد والتذلّل، قائمٌ على أساس استحضار جلال الله عز وجل وعظمته وهيبته، والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (.آل عمران: ١٧٥) .

الخوف المباح

النوع الثاني من أنواع الخوف، الخوف الطبيعي الذي خلقه الله سبحانه وتعالى غريزةً مركوزةً في النفوس،ومن أمثلة هذا النوع: الخوف من الكوارث.

[1] شبكة الالوكة

الخوف المحرّم

وهو الخوف الذي يقود العبد إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا التركُ مذموم إذْ لا باعث له إلا الخوف من الناس.

الخوف الشركي

وهذا هو أخطر أنواع الخوف، وهو القادح في التوحيد، وضابطه: أن يخاف العبدُ من مخلوق خوفاً مقترناً بالتعظيم والخضوع والمحبة. وله تسمياتٌ متعدّدة، منها: خوف السرّ، والخوف الاعتقادي، وكلاهما يشير إلى أنه خوفٌ يتعلّق بالقلب، فمن خاف أحداً غير الله عز وجل على سبيل العبادة، فقد أشرك مع الله غيرَه، واتخذَ معه ندّاً، فلا حظّ له مع الإسلام؛ لأن الله أمر بإخلاص العبادة، والخوف هو إحدى تلك العبادات، ثم إنه من لوازم الإلهيّة، أي: توحيد الله بالعبادة، فلا يجوز تعلقه بغير الله أصلا.

- ذم الخوف من غير الله في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح فيه [1]

حيي القلب لا يخشى إلا الله ، فلا خوف من بشر ولو كان جائرا ، ولا من حدث ولو كان قاهرا ، ولا خوف على رزق أو أجل ، ولا خوف على ولد أو متاع ، بل وبسبب حياة قلبه ؛ كلما علا وعزَّ من أمامه كلما هوى وهان في عينيه ، وهكذا كان طاووس اليماني ، فعن الصلت بن راشد قال : كنت جالسا عند طاووس فسأله سلم بن قتيبة عن شي فانتهره قال : قلت هذا سلم بن قتيبة صاحب خراسان. قال : " ذلك أهون له علي " . وعدم الخوف إلا من الله دليل على حياة القلب وجسارته كما ذكروا أن رجلا شكا إلى الإمام أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال : " لو صححت لم تخف أحدا " . ولا يخاف أحد من غير الله إلا لمرض في قلبه ، . وقد حكى الله أن من صفات الذين في قلوبهم مرض أنهم قالوا : ﴿ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ [المائدة : ٥٢]

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: " إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره، فإذا لقن الله عبداً حجّته، قال: يا رب، رجوتك، وفَرَقْت الناس –أي: خفتهم–" (صحيح ابن ماجه 3260)

- مظاهر الخوف من غير الله

.. انتشر خشية غير الله في كثير من المسلمين فمنهم الذين يعتقدون في الأولياء أو الجن أو الطواغيت الضرر والنفع من دون الله جل جلاله فصاروا يخافون منهم ويصرفون لهم كثيراً من العبادات بناء على ذلك الخوف.

[1] الكلم الطيب

"ومن هؤلاء الذين أشركوا مع الله – عز وجل – في جانب الخوف غلاة المتصوفة الذين غالوا في المشايخ والأولياء حتى اعتقدوا أن لهم التصرف في الكون والحياة، واعتقدوا فيهم القدرة المطلقة والعلم المحيط والعصمة من الزلل، وبالتالي خافوهم كما يخافون الله أو أكثر، ونسجوا في كتبهم كثيرًا من القصص والروايات والأساطير المكذوبة حول قدرتهم على نفع أو ضر غيرهم متى شاءوا، وروَّجوا لذلك بغرض حمل الناس على الخضوع لهم وتمكينهم من أموالهم وما يشاءون دون اعتراض، وإلا فالهلاك لمن يشك في ذلك.

وممن وقع في هذا النوع من الشرك طائفة العلمانيين والمستغربين من الحكام والمثقفين.. وغيرهم ممن عظم في قلوبهم الخوف من الغرب أو النظام العالمي الجديد أو أمريكا أو غيرها من دول الكفر إلى درجة أنهم أشركوا فيها هؤلاء من دون الله – عز وجل –، وظنوا أن أمريكا والغرب لا رادَّ لقدرتهم ولا يقدر أحد على مقاومتهم، وأنهم أصبحوا الموجهين للعالم، فلابد من طاعتهم وخوفوا الناس منهم، كما قال سبحانه عن أسلافهم من المنافقين: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٣٦]

وقال: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥].

ونتيجة هذا الخوف فقد أطاعوهم في كل ما يأمرون وينهون، فأحلوا الحرام، وحرموا الحلال ونبذوا شريعة الله، واستبدلوها بأحكام هؤلاء الكفرة وعادوا أولياء الله –عز وجل– وقربوا أعداءه، وهذا كله بناءً على خوفهم لهم من دون الله – عز وجل.ومثل هذا ما "حدث في لجنة الشؤون الدينية بمجلس الشعب فقد جرى كلام حول استصدار قرار بإلغاء مهرجانات السينما لما فيها من عري وفساد وما لها من تأثير على دين الناس، فاستنكر ذلك صاحب أخبار الناس بجريدة الأخبار، ويبدو أن استنكاره كان موجها لرئيس اللجنة، فسارع رئيس لجنة الشؤون الدينية الذي يحمل درجة الدكتوراه لينفي اللوم عنه وعن جميع أعضاء اللجنة، ولو مجرد التفكير في هذا القرار فقال ردا على المقال: عزيزي محرر صفحة أخبار الناس، بخصوص مقالتك الخاصة بإلغاء مهرجانات السينما في مصر إن الأمر لم يتعد رأيا من الضيوف الذين يحضرون اجتماعات اللجنة، ولم يؤيده أحد من الأعضاء، وبالتالي لم يصدر به قرار".

فلا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم رد المسلمين إلى دينك ردًا جميلا، وخذ بأيديهم إليك أخذ الكرام عليك، فلا يجوز أبداً – أيها الإخوة – أن نخاف من غير الله تعالى كل هذا الخوف ولا أن نجعل الخوف من بطشه كخوفنا من الله فنرضى أن نتنازل عن ديننا وعقيدتنا وعن فعل الخير حتى لا نقع تحت البطش والتهديد والخوف زاعمين أنا بذلك ننجو من البطش ونهرب ونحن بذلك نضحك على أنفسنا نكذب ونصدقها ولا نسألها أفإن تركنا ذلك الدين والعمل له وتركنا الالتزام والخير والعمل به ونجونا من البطش أفننجو من عذاب الله الذي عصينا أوامره والجواب بلا شك واضح نهرب من عذاب بشر ولكننا لن نهرب من عذاب رب البشر ولذلك جاء التعبير

القرآني رائعاً في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

علاج الخوف والخشية من غير الله

١. إن مما يعين العبد على عدم خشية المخلوقات استشعاره أن المخلوق لا يملك ضراً ولا نفعاً، ولا حول له ولا قوة، ولا يستطيع أن يضر بشيء إلا إذا كان مكتوباً ومقدراً في الأزل، وأن كل شيء بقدر،

فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ {القمر:٤٩}،

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا ﴾ {التوبة:٥١}،

وفي الحديث: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف. (رواه الترمذي وصححه الألباني.)

وقد حضنا الله على خشيته وعدم الخوف من غيره، فقال: ﴿ فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾{المائدة:٤٤}، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾{آل عمران:١٧٥}،

وقال تعالى: ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ ﴾ {التوبة:١٣}.

٢. إن عذاب الله – عز وجل – يصد العبد أن يعصيه فكلما تذكر العبد أنه منهي عن المعصية فإن فعلها عوقب بعقاب من الله صده ذلك عن اقتراف المعصية، فإذا جعل ما يصيبه من أذى في طريق الله صادّاً له عن الطاعة فيتركها بسبب هذا الأذى ويفعل المعصية خوف الأذية فهو بذلك قد جعل فتنة الناس كعذاب الله فسوى بين الله وبين عباده ففي هذه الآية – أيها الإخوة – أنه لا يجوز أن يخشى العبد الناس ويخافهم مهما عظمت البلية ومهما كثرت الفتن والمصائب وكل على قدر إيمانه . انتبه أيها الحبيب إلى هذه اللطيفة في الآية فإن الله تعالى سمى بطش البشر وتعذيبهم فتنة فالناس لا يملكون إلا الفتنة وأما عمل الله – عز وجل – وفعله فسماه عذاباً فأيهما ينبغي أن يخاف العبد؟

ثم إن تسميتها فتنة أي اختبار وامتحان وابتلاء إشارة إلى أنها من الله – عز وجل – أجراها على يد هؤلاء ليبتلي عبده المؤمن بهذا، فهي أيضاً من الله لم تخرج عن فعله وإرادته ومشيئته – سبحانه وتعالى – فمم الخوف؟!

فليتيقن القلب بأن الله لا يسلم أولياءه لأعدائه أبداً وإنما هو الامتحان والابتلاء والفتنة، فلا يقدم الإنسان التنازلات سريعاً فإنه من ضعف الإيمان واليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك إلا الله، حبيبي إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره وإن عذاب الله لا يدفعه التجاء أو احتماء بغيره أبداً.

٣.اليقين: قال شيخ الإسلام: "إن اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله؛ لم تكن موقنا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك، إما ميلٌ إلى ما في أيديهم من الدنيا، فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديق بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد في الدنيا والآخرة؛ فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، فإرضاؤهم بسخطه إنما يكون خوفا منهم، ورجاءًا لهم، وذلك من ضعف اليقين

،ولذلك جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من التمس رضى الله بسخط الناس – رضي الله عنه – وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضي الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" (أخرجه ابن حبان في صحيحه بسند صحيح.)

سبحان الله! كان يسعى إلى رضا الناس ففقده وقبل ذلك فقد رضا الله فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، فماذا كسب من خسر الله؟ أما من أرضى الله بسخط الناس فإن الله يرضى عنه ويُرضي عنه الناس أيضاً.

ففي هذا الحديث وجوب تجريد الخوف من الله – عز وجل – وضرورة وجوب تقديم رضا الله على رضا المخلوق والوعيد لمن خاف الناس فآثرهم على رضا الله –جل وعلا– فهو من ضعف الإيمان ومن علامات وموجبات نقصانه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلمون: الخوف من الله – عز وجل– عبادة قلبية لا يجوز أن تصرف لغير الله، فالله – عز وجل – يقول لنبيه: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَق أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ويقول لعباده: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَق أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣].

٤.وإنَّ من أسباب إفراد الله – عز وجل – بالخوف علمَ العبد أن الله – عز وجل – وحده هو الذي يملك الضر والنفع، ولا تتحرك مثقال ذرة ولا أصغر منها ولا أكبر إلا بمشيئته – سبحانه – وعلمه وحوله وقوته، وفي وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجفَّت الصحُف"؛

بل قال الله – تعالى – لأعظم خلقه: ﴿ قُلْ إِنّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ [الجن: ٢١].

٥. وبقدر خوفك من الله يهابك الخلق؛ فعن عبد الله البعمري الزاهد قال: "إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه ولا تأمر ولا تنهى عن المنكر خوفًا ممن لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا، مَن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة المخلوقين نُزِعَت منه الهيبة، فلو أمر بعض ولده لاستخف به". فإن من خاف اللهَ خاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.[1]

إن ربكم – أيها المسلمون – يناديكم من فوق عرشه بكلمات في كتابه نصها: ﴿ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ [لقمان: ٣٣].

فمَن منا – يا عباد الله – استجاب لنداء الله؟! مَن منا إذا دعته نفسه إلى مخالفة أمر الله قال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَب العَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٨]؟! مَن منا إذا دعته امرأة ذات منصب وجمال قال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ﴾، مَن منا إذا سولت له نفسه تضييع الصلوات وترك الجماعات واتباع الشهوات عصاها وقال: ﴿ إني أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥]؟!

أخي أيها العاصي المذنب – وكلنا كذلك –: إني أحذرك ونفسي مقامًا عنت فيه الوجوه، وخشعت فيه الأصوات، وذل فيه الجبارون، وتضعضع فيه المتكبرون، واستسلم فيه الأولون والآخرون بالذل والمسكنة والخضوع لرب العالمين، وقد جمعهم الواحد القهار الذي لا ثاني له في الهيبة، ولا مشارك في حكمه، جمعهم بعد طول البلى للفصل والقضاء في يوم آلى فيه على نفسه أن لا يترك فيه عبدًا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله في سره وعلانيته. فانظر وقوفك بين يديه، وأعد للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، حيث لا يصدق إلا الصادقون.

فليكن أول ما تبدأ به من العدة لذلك المقام تقوى الله – عز وجل– في السر والعلانية؛ ليأمن قلبك في ذلك المقام مع قلوب المتقين، حين ينجز الله لهم ما وعدهم من الأمن والغبطة والسرور.

أسأل الله – تعالى – أن يجعلنا ممن يخافه ويتقيه، ويطيعه ولا يعصيه.

---

[1] اسلام ويب

١٣.مرض الحقد

الْحِقْدُ مِنْ مَعَانِيهِ: الضَّغَنُ وَالانْطِوَاءُ عَلَى الْبَغْضَاءِ، وَإِمْسَاكُ الْعَدَاوَةِ فِي الْقَلْبِ، وَالتَّرَبُّصُ لِفُرْصَتِهَا، أَوْ سُوءُ الظَّنِّ فِي الْقَلْبِ عَلَى الْخَلاَئِقِ لأِجْلِ الْعَدَاوَةِ، أَوْ طَلَبُ الانْتِقَامِ. وَتَحْقِيقُ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْغَضَبَ إذَا لَزِمَ كَظْمُهُ لِعَجْزٍ عَنِ التَّشَفِّي فِي الْحَال رَجَعَ إلَى الْبَاطِنِ وَاحْتَقَنَ فِيهِ فَصَارَ حِقْدًا.

يَخْتَلِفُ حُكْمُ الْحِقْدِ بِحَسَبِ بَاعِثِهِ، فَإِنْ كَانَ لِحَسَدٍ وَضَغَنٍ دُونَ حَقٍّ : فَهُوَ مَذْمُومٌ شَرْعًا، لأِنَّهُ يُثِيرُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَالإْضْرَارَ بِالنَّاسِ لِغَيْرِ مَا ذَنْبٍ جَنَوْهُ.

وَقَدْ وَرَدَ ذَمُّهُ فِي الشَّرْعِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْله تَعَالَى فِي ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ سَاءَهُمُ ائْتِلاَفُ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْتِمَاعُ كَلِمَتِهِمْ بِحَيْثُ أَصْبَحَ أَعْدَاؤُهُمْ عَاجِزِينَ عَنِ التَّشَفِّي مِنْهُمْ : وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأْنَامِل مِنَ الْغَيْظِ ...

وَمِمَّا يُذْهِبُ الْحِقْدَ الإْهْدَاءُ وَالْمُصَافَحَةُ ، كَمَا قَال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ. وَفِي رِوَايَةٍ: تَهَادَوْا تَحَابُّوا .

أَمَّا إنْ كَانَ الْحِقْدُ عَلَى ظَالِمٍ لاَ يُمْكِنُ دَفْعُ ظُلْمِهِ ، أَوِ اسْتِيفَاءُ الْحَقِّ مِنْهُ، أَوْ عَلَى كَافِرٍ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ وَلاَ يُمْكِنُهُمْ دَفْعُ أَذَاهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَذْمُومٍ شَرْعًا، ثُمَّ إذَا تَمَكَّنَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، فَإِمَّا أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ فَذَلِكَ مِنَ الإْحْسَانِ ... وَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ مِنْهُ ، فَلاَ حَرَجَ فِيهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيل عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ .." انتهى مختصرا من "الموسوعة الفقهية" (١٨/٥) وما بعدها

– علاج الحقد

ومما ذكر في علاج الحقد ، ما جاء في "نضرة النعيم" (٤٤٣٣/١٠) :

أمّا علاج الحقد : فيكمن أوّلا في القضاء على سببه الأصليّ ، وهو الغضب ، .. ، .. وعليه أن يحذّر نفسه

عاقبة الانتقام، وأن يعلم أنّ قدرة الله عليه أعظم من قدرته، وأنّه سبحانه بيده الأمر والنهي ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقّب لحكمه، هذا من ناحية العلم .

أمّا من حيث العمل فإنّ من أصابه داء الحقد : فإنّ عليه أن يكلّف نفسه أن يصنع بالمحقود عليه ضدّ ما اقتضاه حقده ؛ فيبدّل الذمّ مدحا، والتكبّر تواضعا، وعليه أن يضع نفسه في مكانه ، ويتذكّر أنّه يحبّ أن يعامل بالرّفق والودّ فيعامله كذلك.[1]

إنّ العلاج الأنجع لهذا الدّاء : يستلزم أيضا من المحقود عليه ، إن كان عاديا على غيره : أن يقلع عن غيّه ، ويصلح سيرته، وأن يعلم أنّه لن يستلّ الحقد من قلب خصمه إلّا إذا عاد عليه بما يطمئنه ويرضيه ، وعليه أن يصلح من شأنه ويطيّب خاطره، وعلى الطرف الآخر أن يلين ويسمح ويتقبّل العذر، وبهذا تموت الأحقاد وتحلّ المحبّة والألفة

[1] الاسلام سؤال وجواب



١٤.مرض اليأس

معنى اليأْس لغةً:

اليأْس: القنوط، وقيل: اليأْس نقيض الرجاء أو قطع الأمل، يئس من الشيء ييأس وييئس؛ والمصدر اليأْس واليآسة واليأَس، وقد استيأس وأيأسته وإنه ليائس ويئِس ويؤوس ويَؤُس، والجمع يُؤُوس .

معنى اليأْس اصطلاحًا:

قال العسكري: (اليأْس: انقطاع الطمع من الشيء)

وقال ابن الجوزي: (اليأْس: القطع على أنَّ المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته)

– ذم اليأس والقنوط والنهي عنهما

في القرآن:–

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٥-٥٦]

قال الواحدي: ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ من الآيسين، والقنوط: اليأْس من الخير.

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦.]

قال ابن عباس: يريد ومن ييئس من رحمة ربه إلا المكذبون، وهذا يدلُّ على أنَّ إبراهيم لم يكن قانطًا، ولكنه استبعد ذلك، فظنت الملائكة به قنوطًا، فنفى ذلك عن نفسه، وأخبر أنَّ القانط من رحمة الله ضالٌّ

في السنة:– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم:" لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ العُقُوبَةِ، ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، ولو يَعْلَمُ الكَافِرُ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، ما قَنَطَ مِن جَنَّتِهِ أَحَدٌ."(صحيح مسلم.)

قال المباركفوري: (إن المؤمن قد اختص بأن يطمع في الجنة، فإذا انتفى الطمع منه فقد انتفى عن الكل، وكذلك الكافر مختص بالقنوط، فإذا انتفى القنوط عنه فقد انتفى عن الكل. وورد الحديث في بيان كثرة رحمته وعقوبته كيلا يغتر مؤمن برحمته فيأمن من عذابه ولا ييأس كافر من رحمته ويترك بابه).

- أقوال السلف الصالح والعلماء في اليأس والقنوط

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الفقيه حقُّ الفقيه: من لم يُقنِّط النَّاس من رحمة الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمِّنهم من عذاب الله" رواه الدارمي وأبو داود

وقال ابن مسعود: "الهلاك في اثنتين، القنوط، والعجب " الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي

وقال سفيان بن عيينة: "من ذهب يقنِّط الناس من رحمة الله، أو يقنِّط نفسه فقد أخطأ" تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم

وقال البغوي: "القنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من مكره" (معالم التنزيل في تفسير القرآن/ البغوي (٣/٦١)، ((اللباب في علوم الكتاب)) ابن عادل (١١/٤٧١).

- آثار اليأس والقنوط

- اليأْس والقنوط من صفات الكافر والضال:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]
وقال: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]

- اليأْس والقنوط ليس من صفات المؤمنين:

قال البغوي: " إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ" ، ييأسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر الله عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة) "معالم التنزيل للبغوي (٣/٥٧٩)، ((المحرر الوجيز)) لابن عطية (٤/٣٣٨).

- اليأْس والقنوط فيه تكذيب لله ولرسوله:

قال ابن عطية: "اليأْس من رحمة الله، وتفريجه من صفة الكافرين. إذ فيه إمَّا التكذيب بالربوبية، وإمَّا الجهل بصفات الله تعالى) " (المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٢٧٤).

- اليأْس فيه سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى:

" فالخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله، التي سبقت غضبه، وجهل بها" (صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (٥/٦٧٣).

- اليأْس سبب في الوقوع في الكفر والهلاك والضلال:

قال القاسمي: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا ﴾ [الإسراء: ٨٣] إشارة إلى السبب في وقوع هؤلاء الضالين في أودية الضلال. وهو حب الدنيا وإيثارها على الأخرى، وكفران نعمه تعالى. بالإعراض عن شكرها، والجزع واليأْس من الفرج عند مسِّ شر قضى عليه) (محاسن التأويل: (٦/٤٩٩).

- الفتور والكسل عن فعل الطاعات والغفلة عن ذكر الله:

قال ابن حجر الهيتمي: "القانط آيس من نفع الأعمال، ومن لازم ذلك تركها" الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي

- الاستمرار في الذنوب والمعاصي:

قال أبو قلابة: "الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة. فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] (معالم التنزيل للبغوي (٢١٧/١))

- سبب في الحرمان من رحمة الله ومغفرته:

قال المباركفوري: (إن اعتقد أو ظن الإنسان أن الله لا يقبلها – أعماله – وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأْس من رحمة الله وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وُكِّل إلى ما ظنَّ)

- سبب لفساد القلب:

قال ابن القيم وهو يعدد الكبائر: "الكبائر:.. القنوط من رحمة الله، واليأْس من روح الله..، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا، وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن" (مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١٣٣/١)).

- ذهاب سكينة القلب والشعور الدائم بالحرمان والحزن والهم:

"فاليأْس من روح الله والقنوط من رحمته؛ يؤدي إلى ترك العمل، إذ لا فائدة منه بزعمه، وهذه طامة من الطوام، وكبيرة من كبائر الذنوب، تُخرج القلب عن سكينته وأنسه، إلى انزعاجه وقلقه وهمه" (أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة لعبد الله الجربوع (٤٨٠/٢) بتصرف يسير.[1]

- حُكم اليأس والقنوط

أجمع العلماء على تحريم اليأْس والقنوط، ومن اليأْس والقنوط ما يخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة، وإنما هو من الكبائر، بل أشد تحريمًا من الكبائر الظاهرة كالزنا، وجعلهما القرطبي في الكبائر بعد الشرك من حيث الترتيب"[٧٦٠١] انظر: ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (١٦٠/٥)، ((إحسان الظن بالله والتحذير من اليأْس

[1] الدرر السنية

والقنوط)) لفهد بن سليمان الفهيد (١/١١-١١٤)، ((الزواجر عن اقتراف الكبائر)) لابن حجر الهيتمي (١/١٤٩)، ((مدارج السالكين)) لابن قيم الجوزية (١/١٣٣).

– أسباب اليأس والقنوط

– الجهل بالله سبحانه وتعالى:

قال ابن عادل: (القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور:

أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادرًا عليه.

وثانيها: أن يجهل كونه تعالى عالمًا باحتياج ذلك العبد إليه.

وثالثها: أن يجهل كونه تعالى، منزهًا عن البخل، والحاجة.

والجهل بكلِّ هذه الأمور سبب للضلال)(اللباب في علوم الكتاب) (١١/٤٧١))

– الغلو في الخوف من الله سبحانه وتعالي:

قال ابن القيم: "لا يدع الخوف يفضي به إلى حدٍّ يوقعه في القنوط، واليأْس من رحمة الله. فإنَّ هذا الخوف مذموم، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: حدُّ الخوف ما حجزك عن معاصي الله. فما زاد على ذلك: فهو غير محتاج إليه، وهذا الخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله تعالى، التي سبقت غضبه، وجهل بها" (مدارج السالكين:(٢/٣٧١))

– مصاحبة اليائسين والقانطين والمقنطين:

فإنَّ مصاحبة هؤلاء تورث اليأْس والقنوط من رحمة الله إما مشابهةً، أوعقوبةً للاختلاط بهم.

– التعلُّق بالأسباب:

قال فخر الدين الرازي: (الكافر يعتقد أن السبب في حصول تلك النعمة سبب اتفاقي، ثم إنه يستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة أخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس. وأما المسلم الذي يعتقد أن تلك النعمة إنما حصلت من الله تعالى وفضله وإحسانه وطَوْلِهِ فإنه لا يحصل له اليأس، بل يقول لعله تعالى يردها إلي بعد ذلك أكمل وأحسن وأفضل مما كانت، وأما حال كون تلك النعمة حاصلة فإنه يكون كفورًا لأنه لما اعتقد أن حصولها إنما كان على سبيل الاتفاق أو بسبب أن الإنسان حصلها بسبب جده وجهده، فحينئذ لا يشتغل بشكر الله تعالى على تلك النعمة) [٧٦١٤] انظر: ((مفاتيح الغيب)) (١٧ / ٣٢٢).

– التشدد في الدين وترك الأخذ بالرخص المشروعة:

قال المناوي: (قال الغزالي رحمه الله: هذا قاله – يقصد حديث إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته– تطييبًا لقلوب الضعفاء، حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأْس والقنوط، فيتركوا الميسور من الخير عليهم؛ لعجزهم عن منتهى الدرجات، فما أرسل إلا رحمةً للعالمين، كلهم على اختلاف درجاتهم وأصنافهم) [٧٦١٥] ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) (٢/٢٩٦).

– قلة الصبر واستعجال النتائج:

إنَّ ضعف النفوس عن تحمل البلاء، والصبر عليه، واستعجال حصول الخير يؤدي إلى الإصابة باليأْس والقنوط، لاسيما مع طول الزمن واشتداد البلاء على الإنسان.

– تعلق القلب بالدنيا:

فمن أسباب اليأْس والقنوط الأساسية تعلق القلب بالدنيا، والفرح بأخذها، والحزن والتأسف على فواتها، بكل ما فيها من جاه، وسلطان، وزوجة، وأولاد، ومال، وعافية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]

– دُنوُّ الهمة والاستسلام للواقع وضعف الرغبة في التغيير:

"فإنَّ اليأْس من الإصلاح يقع فيه كثير من الناس، فإذا عاين الشرور المتراكمة، والمصائب، والمحن، والفتن، ومن الفرقة والتناحر والاختلاف الذي يسري في صفوف المسلمين، يأس من الإصلاح،.. ومثل ذلك في شأن كثير من الناس ممن يسرف على نفسه بالمعاصي، ويتيه في أودية الرذيلة، فتجده ييأس من إصلاح حاله، والرقي بها إلى الأمثل، بل ربما ظنَّ أنَّ التغيير مستحيل.. وهذا كله مظهر من مظاهر دنو الهمة، وصغر النفس، والعجز عن مواجهة المتاعب، والمصاعب") انظر: ((الهمة العالية)) لمحمد بن إبراهيم الحمد (٥٠/١).

– الوسائل المعينة على التخلص من اليأس والقنوط

– الإيمان بأسماء الله وصفاته:

إنَّ العلم والإيمان بأسماء الله وصفاته، وخاصة التي تدلُّ على الرحمة، والمغفرة، والكرم، والجود، تجعل المسلم لا ييأس من رحمة الله وفضله

- حسن الظن بالله ورجاء رحمته:

قال السفاريني: (حال السلف رجاء بلا إهمال، وخوف بلا قنوط. ولابد من حسن الظن بالله تعالى) [٧٦٢٢] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) (١/٤٦٦).

- تعلق القلب بالله والثقة به:

لا بد على المرء أن يعلق قلبه بالله، ويجعل الثقة به سبحانه وتعالى في كل أحواله و(لا يليق بالمسلم أن ييأس من روح الله ولا يقنط من رحمته، ولا يكون نظره مقصورًا على الأمور المادية والأسباب الظاهرة، بل يكون متلفتًا في قلبه في كل وقت إلى مسبب الأسباب، إلى الكريم الوهاب، متحريًا للفرَج، واثقًا بأن الله سيجعل بعد العسر يسرًا، ومن هنا ينبعث للقيام بما يقدر عليه من النصح والإرشاد والدعوة، ويقنع باليسير إذا لم يمكن الكثير، وبزوال بعض الشر وتخفيفه إذا تعذر غير ذلك) [٧٦٢٦] انظر: ((الهمة العالية)) لمحمد الحمد (١/٥٠).

- أن يكون العبد بين الخوف والرجاء:

قال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

- الإيمان بالقضاء والقدر:

إذا علم المرء وأيقن أنَّ كل ما حصل له هو بقضاء الله وقدره استراح قلبه، ولم ييأس لفوات شيء كان يرجوه، أو لوقوع أمر كان يحذر منه، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]

- الصبر عند حدوث البلاء:

وذلك أن الله سبحانه ذم اليائسين من رحمته عند حصول البلاء، واستثنى من الذم الصابرين على البلاء، وجعل لهم الثواب العظيم.

- الدعاء مع الإيقان بالإجابة:

قال تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام لما عوتب في تذكر يوسف عليه الصلاة والسلام بعد طول الزمان، وانقطاع الأمل، وحصول اليأس في رجوعه، قال بلسان المؤمن الواثق في وعد الله برفع البلاء عن الصابرين وإجابة دعوة المضطرين، ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٦]

- الأخذ بالأسباب:

يظهر لنا جليًّا في قصة يوسف عليه السلام أهمية الأخذ بالأسباب، وترك الاستسلام لليأس، فقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام لأولاده لما أبلغوه فقد ابنه الثاني: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]

قال السعدي: (ورد النهي عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض أو فقر أو خوف، أو وقوع في شدة ومهلكة، أو نحوها من الأشياء. فإن في تمني الموت لذلك مفاسد.

- الزهد في الدنيا:

فمن أسباب اليأْس والقنوط الأساسية، تعلق القلب بالدنيا والفرح بأخذها، والحزن والتأسف على فواتها بكل ما فيها، من جاه، وسلطان، وزوجة، وأولاد، ومال، وعافية..إلخ، فاعلم أنَّ الله سبحانه يعطي الدنيا لمن لا يحب ومن يحب، ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب، وقد منع أحب الخلق إليه، وأكرمهم عليه، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الدنيا وما فيها، فخرج وما ملأ بطنه من خبز البر ثلاث أيام متواليات، وأنَّ المرء لن يأخذ أكثر مما قدر له فلا ييأس ولا يقنط لفوات شيء.[١]

[1] الموسوعة الأخلاقية

١٥.أسباب أمراض القلوب

هناك أسباب كثيرة لأمراض القلوب وفسادها فعلى سبيل المثال لا الحصر(١):

- الجهل : وهو من أخطر أسباب أمراض القلوب بل هو سبب لكل أمراض القلوب.
يقول ابن تيمية رحمه الله "الجهل المطلق يميت القلب ،ونوع من الجهل يصيب القلب بأمراض".
فالجهل مفتاح كل الشرور ومرجع لكل الذنوب، كالجهل عن الله و أوامره ونواهيه وسنة نبيه وأخلاقه والجهل بمكايد الشيطان والثغرات التي يدخل فيها إلى قلب العبد وغيره.
يقول الله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيتا فَأَحيَينَاهُ وَجَعَلنَا لَهُۥ نُورا يَمشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيسَ بِخَارِج مِّنهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [الأنعام ١٢٢]

- البعد عن الحق بعد معرفته:
قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف٥]

- إرتكاب المعاصي:

فالمعاصي تؤثر في القلب، ومن أدمن الذنوب واستسهلها يموت قلبه، ويَتَلَبَّد إحساس
قال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.[المطففين ١٤]

قال عبدالله إبن المبارك رحمه الله:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب
ويتبِعُها الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوبِ
وخيرٌ لنفسكَ عصيانُها

1 صيد الفوائد

- الإنشغال بالدنيا والإنهماك في طلبها والمنافسة عليها[1]:

قال تعالى: {﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.[النازعات ٣٧-٣٩]
فحب الدنيا والتكالب عليها يورث في القلب حبها والإنشغال بها عن طلب الآخرة،ويعذب بها
وقال تعالى :﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُهُمۡ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة ٥٥]
وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾[الشعراء ٢١٣]
وعن أبو هريرة قال النبي – صلى الله عليه وسلم – ": ((تعِس عبدُ الدينارِ ، تعِس عبدُ الدرهمِ ، تعس عبدُ الخميصةِ ، تعس عبدُ الخميلةِ ، تعِس وانتكس وإذا شيكَ فلا انتقشَ).صحيح البخاري.(الخميصة والخميلة نوع من الملابس)

"تَعِسَ وانْتَكسَ، وإذا شِيكَ فلا انْتُقِشَ" أي: تَعِسَ وانقلبَ على رأسِه، وهو دُعاءٌ عليه بالخيبةِ والخسرانِ، وإذا أصابتْه شوكةٌ فَلا قَدَرَ على إخراجِها بِالمِنقاشِ، ولا خَرجَتْ، والمرادُ أنَّه إذا أُصيبَ بِأقلِّ أذًى لا يَجِدُ مُعينًا على الخَلاصِ منه.

- الغفلة[2]

قال إبن القيم رحمه الله " فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه. فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً"(الوابل الصيب من الكلم الطيب).
ومنها الغفلة عن الله، والغفلة عن أوامر الله، والغفلة عن مكايد الشيطان . والغفلة عن الموت واليوم الآخر.

–كثرة الفتن على القلوب تخرج القلب من صحته وإستقامته وأخطرها فتنة الشهوات وفتنة الشبهات
فعن حُذَيْفَةَ –رضي الله عنه– قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ" (رواه مسلم)

[1] موقع طريق الاسلام
[2] خطبة أمراض القلوب وعلاجها- مسجد التوحيد

ومن أهم مفسدات القلوب المسببة لأمراض القلوب ما ذكره ابن القيم في كتابه مدارج السالكين[1]

وهي خمسة :

-التعلق بغير الله تبارك وتعالى:

فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله. ولصاحبه الذم والخذلان.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾ [مريم٨١ -٨٢]

فمن تعلق بغير الله (من مال أو جاه أو عباد)وَكَلَه اللهُ إلى ما تعلّق به، وخذله، وفاته تحصيل المقصود من الله – عز وجل–، فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمَّله ممن تعلَّق به وصل.

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ –رضي الله عنه– قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– "مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ" [الترمذي وحسنه الألباني].

وليس هناك أفسد للقلب من فاحشة الشرك، وفاحشة العشق،فكلما قوي شرك العبد بُلي بعشق الصور، وكلما قوي توحيده صُرف عنه ذلك. نسأل الله السلامة والعافية.ولهما خاصية في بُعد القلب من الله، فإنهما من أعظم الخبائث، فإذا انصبغ القلب بهما ابتعد عن كل ما هو طيب، وكلما ازداد خبثًا ازداد من الله بُعدًا.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:٢٣].

-التوسع المذموم في المباحات:

فالأكل والشرب والنوم والمباحات إذا تجاوزت الحد كان لها تأثيرًا سلبيًا على القلب

قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف ٣١]

قال أبو سُلَيْمَان الدَّارَانِيّ:

"إنَّ النَّفْسَ إِذَا جَاعَتْ وَعَطَشَتْ صَفَا الْقَلْبُ وَرَقَّ، وَإِذَا شَبِعَتْ وَرَوِيَتْ عَمِّيَ الْقَلْبُ وَبَادَ". وَالشِّبَعُ الْمُفْرِطُ يُثْقِلُ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَمَنْ أَكَلَ كَثِيرًا شَرِبَ كَثِيرًا، فَنَامَ كَثِيرًا، فَخَسِرَ كَثِيرًا".(الجوع لابن أبي الدنيا.)

– كثرة التمني وطول الأمل:

قال تعالى: ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [الحديد ١٤]

[1] كتاب مدارج السالكين

قال قتادة:

"في قوله تعالى: (وَغَرَّتْكُمُ الأمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ)، أي: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار. وقوله: (وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) يقول: وخدعكم بالله الشيطان، فأطمعكم بالنجاة من عقوبته، والسلامة من عذابه" (تفسير الطبري)

-كثرة الخلطة :

وهي أن يُعاشر كل رجل، ويجالس كل إنسان دون قيود ولا حدود ، والمراد بها الخلطة الضارة وغير النافعة كمخالطة البطالين

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]

يقول ابن القيم في كتابه مدارج السالكين:

تؤثر الخلطة على القلب "بامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسود، ويوجب له تشتتا وتفرقا وهما وغما، وضعفا، وحملا لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسم فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم. فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟ هذا، وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية".

ويتنزل قول إبن القيم على خلطة الأجهزة الإلكترونية في وقتنا المعاصر فهل هي تنفعك أم تضرك وكم وقت تقضيه مع القرآن ومعها أو مع والديك ومعها أو طلب العلم ومعها، فانظر إلى حالك هل يصح قلبك أو يمرض !؟

فكثرة الخلطة بالآخرين، وخصوصًا غير الصالحين تذهب بالإيمان، وتمرض القلب، وتشتت الأذهان، وتنسي التكاليف، وتسهّل المعاصي، فهي مفسِدة للقلب والبدن.

وقال ابن القيم عن هذه المفسدات الخمس إنها " تطفئ نور القلب وتعور عين بصيرته وتثقل سمعه وتضعف قواه وتوهن صحته وتفتر عزيمته وتوقف همته وتنكسه إلى ورائه"

فهي عائقة له في سيره ومحدثة له أمراضا وعللا أم لم يتداركها المريض خيف عليه منها."[١]

[1] محاضرة للشيخ عمر رشيد الزبيدي (بتصرف)

١٦.علاج أمراض القلوب

١. كمال محبة الله:

بأن يكون حبه لله، وفي الله، وأن يكون بغضه ومعاداته لله، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن من أعظم وسائل علاج القلب: أن يمتلئ قلب الإنسان بحب الله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]

٢. الإخلاص:

يقول عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ " [الأنعام:١٦٢-١٦٣] أخلصوا لله عز وجل في أعمالكم، وستجدون راحة في صدوركم، ولذلك يقول الله عز وجل: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ"

٣. حسن المتابعة والتمسك بالكتاب والسنة:

بأن يكون عمله واعتقاده وفق ما أمر الله ورسوله، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١]

٤. تعاهد القرآن الكريم تلاوة وتدبرا وحفظا:

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء:٨٢] فهو يزيل الجهل ويبدد الشك وينير القلب لاستقبال الهدى والرشاد، كما انه طارد للشيطان مبدد لوسوسته

٥. كثرة الذكر [1]:

ففيه تذكر الله جل وعلا ، وهذا أساس الفلاح وقوة القلب وحياته ،﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥] والحديث : " سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: ﴿ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ. ﴾ " (صحيح مسلم)

[1] أمراض القلوب وعلاجها/ طريق الإسلام

٦. الاستجابة لأوامر الله :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤]

٧. تذكر الموت :

هو الذي يرقق القلب ويخشعه فتخف وطأة الكبر والشهوات ويستعد للقاء الله.

٨. طلب العلم وسماع المواعظ :

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة ١٥: ١٦]

٩. ترك مواطن الغفلات :

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥]

١٠. التوبة والاستغفار:

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان:٧١]،

وقال سبحانه" ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:١٣٥]

١١. قيام الليل والدُّعاء وطلَب الهداية من الله[1]

خاصة في الثلث الأخير من الليل، فإن سهام الليل لا تخطيء، فليكثر الإنسان فيه من التضرع إلى الله، وسؤاله الصفح والمغفرة والستر والتجاوز.

قال سهل بن عبدالله التستري: "ليس بين العبْد وبين ربِّه طريق أقْرب من الافتِقار إليه".

[1] سلسلة لنحيي قلوبنا /يحيى سليمان العقيلي/ صيد الفوائد

١٢. الاحسان للخلق ومسح رأس اليتيم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه " أن رجلًا شكَى إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قسوةَ قلبِهِ فقال أطعمِ المسكينَ وامسحْ رأسَ اليتيمِ" (إسناده حسن)

١٣. سلامة الصَّدْر وحبُّ الخَيْر للنَّاس، والإنْفاق في سبيل الله وتعْليم الجاهلين

قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]

١٤. إطابة المطعم والملبس الصدقة والكرم والجود

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [الليل: ٥ – ٧]

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣].

١٥. غض البصر

قال سبحانه: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ [النور:٣٠].

١٦. صحبة وملازمة الصالحين [1]:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨]

تم بحمد الله

[1] الطريق إلى شفاء القلوب/ موقع الألوكة.

المصادر

- شبكة الألوكة
- موقع الخطباء
- إسلام ويب مركز الفتوى.
- خطبة الشيخ عادل الشوربجي (امراض القلوب)
- (خطبة الشيخ عبد العزيز الفايز (عن مرض الرياء)
- موقع الدرر السنية
- أدب الدنيا والدين
- الأداب الشرعية لابن مفلح
- ((عمدة القاري)) لبدر الدين العيني
- إحياء علوم الدين
- الكلم الطيب
- مصادر أسباب أمراض القلوب
- صيد الفوائد
- موقع طريق الاسلام
- خطبة أمراض القلوب وعلاجها– مسجد التوحيد
- محاضرة للشيخ عمر رشيد الزبيدي (بتصرف)
- كتاب مدارج السالكين.
- الإسلام سؤال وجواب
- ملخص من امتحان القلوب، د. ناصر العمر، موقع طريق الإسلام.
- مقال:اتباع الهوى هو جامع أمراض القلوب /الشيخ خالد المصلح
- مقال :أمراض على طريق الدعوة/منتدى ملتقى الخطباء
- مقال :من وسائل التزكية العملية عدم اتباع الهوى /موقع جامعة الإيمان
- كتاب إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان لابن القيم
- مقال الهوى والخوف من غير الله /موقع طريق الإسلام
- موسوعة الأخلاق
- (مقال قسوة القلب، مظاهره، أسبابه، علاجه،د. زلفى أحمد محمد الخراط، موقع الألوكة).

ليس أسعَدَ للمَـرءِ ولا أشرَح لصدرِه ولا أهنَأ لـروحِـه من أن يحيـا في مجتمعه بين إخوانه، وأهله وعشيرته، وبين الناس أجمعين، سليمَ القلـب من الشحناء والبغضاء، نقيا من الغـل والحسـد، صـافيا مــن الغـدر والخيانة، معــافى من الضغينــة والحقد، لا ينطـوي قلبـه إلا على المحبة والرحمة والإشفـاق على الناس أجمعين.

ولذلك كان هذا الكتيب **"بأي قلب نلقاه"**

الذي يتناول أمراض القلب وطرق شفائه من أمراضه وعلله

